يوم الجمعة

فريق متميزون

E-BOOK

CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS

نسائم الموت

دعاء سالم

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة يوم الجمعة

نسائم الموت

دعاء سالم

عن الكتاب..

ركضت لكنه كان أسرع منها، أمسكها من شعرها وقام بلفه حول يده، بصق في وجهها ثم دفعها على الأرض، كان «سيد» ينظر إلى ما يحدث وهو يأكل رغيف الخبز الخاص به، حاولت النهوض ولكن الألم بدأ ينتشر في جسدها، تحرك نحوها ببطء وهي تزحف إلى الخلف حتى اصطدمت بالحائط، لا يوجد لديها مفر، نظرت إلى «سيد» نظرات استعطاف ولكنه بدا وأنه لا يشعر سوى بالاستمتاع، فهو صديق أبيها في النهاية ويعيش معه في ذلك المكان اللعين، هل ستنمو له أجنحة ملائكة؟

بدأت الدموع تسيل من عينيها، تتذكر تلك الفتاة ذات السابعة عشر وترفض أن تكونها، مسحت دموعها قبل أن يمسكها من ثيابها ويبدأ بتمزيقهم، قالت والدموع تتجمع في حلقها حتى كادت تخنقها:

- لماذا تفعل هذا بي؟ ما الخطأ الذي اقترفته بحق ربك الذي تعبده!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداء

للكِ..

وددتُ لو أبوح باسمكِ ولكنه الشيء الوحيد الذي لا يمكنني الإفصاح عنهُ.

لولاكِ لَما كُنت سأشعر بِمَ شعرتُ، أو سأرى جانبًا مختلفًا من البشر لم أعهد رؤيته من قبل..

أتمنى لكِ ولكل مَن هم مثلكِ أن ينعموا بالراحة التي لا تلطخها الدماء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل أن تبدأ عليك أن تعرف...

البشر هم مكب نُفايات العالم، هُناك أناس لم يستطيعوا التأقلم على العيش بتلك الطريقة مُنذ نُفخت فيهم الروح فظلوا يسعون خلف الموت لأعوام؛ ولأنه لا يسعى خلفهم في المقابل لا يكترثون إن وصل بهم الأمر إلى اقتلاع أعينهم حتى لا يرون العالم الذي حول قلوبهم إلى مكانٍ مليء بالعفن...

ربما قلبك لم يصله العفن بعد، ولكنني رأيتهُ في أُناس لم أظن يومًا بأنه سينال منهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رأته وهو يمسك بالساطور ويدسه بأحشاء الجثة التي أمامه، بدأ يُقطعها إلى أشلاء وهو يُخرج من فمه نغمًا خافتًا باستمتاع بدا على الطريقة التي يحرك بها رأسه، لم تستطع رؤيته سوى من ظهره ولكنها تألفُ هذا الهيكل، اقتربت منه وقلبها يخفق بشدة، كادت تشعر بأنه سيخترق قفصها الصدري وينفجر أمام ناظريها، أصدرت صوتًا وهي تتكئ بقدميها على الأرض، ابتلعت ريقها بصعوبة ثم رمقته بعينيها سريعًا، تنفست الصعداء حين رأت بأنه لم يلتفت لها عكس ما اعتقدت...

وضعت يدها على قلبها لتُهدِّئ نبضاته السريعة ثم أعادت النظر لهُ وهو يُسقط الساطور على قدم الجثة ويفصلها بعنفٍ وهو يصرخ بصوت جهوري جعل جسدها يرتجف خوفًا..

لِمَ الآن ومن بين كل المواقيت قلبها يشتعل؟ اقتربت أكثر منه لتلتقط عينيها ملامح الجثة، فجأة انتفض جسدها وهو يتصبب عرقًا، بدون تفكير وضعت يدها أمام عينيها لتتأكد.. بالفعل.. هي لا ترى أي شيء! ظنت بأنه إثر ارتفاع الابينفرين في الدم، حالات الخوف والفزع تُسبب شلل، فلمَ الذعر من عمى مؤقت؟ تمنت لو أن جسدها كله تلاشى مع ارتفاع نسبة هرمون الخوف، حاولت إسكات عقلها قليلًا لِتعي ما يذهب إليه فانتهى بها الأمر برسم ابتسامة ساخرة على شفتيها، لا تُخبئ في ردائها المُهمل مصباح علاء الدين ولا هي أمانيها تتحقق بمجرد تمنيها، تُشبه المهرج الذي لا يُجيد لعب الكرات في سيرك مُكتظ بالبشر، سيُجبر على الضحك وإضحاك الناس، حتى وإن تعثر.. سيكون بالنسبة لهم كمشهد ساخر، ولِمَ لا يفعلون وهو يسخر من نفسه؟ تذكرت عدم مقدرتها على الرؤية فارتسمت على ملامحها الراحة؛ فما تخشاه هو أن تحيا مرة أخرى في هذا العالم وليس العمى... التساؤلات تحوم حول عقلها، لم ترَ وجه الرجل ولكن يبدو بأن جسدها يتذكره، تلك الجثة!

لا تتذكر تحديدًا ما رأته، تمنت لو أنه لم يكُن مُجرد حُلم ينتهي باستيقاظها، بعد دقائق شعرت بأن جسدها يسترخي مرة أخرى بشكل جعلها ثائرة، وهذا ما لا تريده.

ضاق صدرها حينَ استمعت لصوت والدتها وهي تُحدث أختها الصغرى، تعلم بأن الحديث سيوجه لها عاجلًا أم آجلًا، فكرت في أنه لا بأس في عيش تلك الحياة طالما أنه سيتوجب عليها ذلك، ولكن بدون شجارات السابعة صباحًا.

استسلمت لصوت أمها الذي اخترق آذانها، جزَّت على أسنانها وهي تُجيب بغضبٍ: أنا مُستيقظة!

فتحت عينيها كطفلٍ حديث الولادة، لا يُمكنها مواصلة العيش في ذلك العالم، فتلك العلامات المرعبة بالنسبة لكل من يرى ذراعها لم تكتسبها من العدم، كانت محاولات فاشلة في اللحاق بالمحظوظين الذين تحولوا إلى رماد، ابتلاع سريرها لها من أمنياتها التي لم تتحقق، تُجبر على النهوض والسير بعيدًا عنه كل يوم، أدركت منذ أعوام قليلة بأنها لم تولد بالحظ الجيد والدليل هو هذا الوجه الذي تنظر إليه في المرآة، حياة لم تكن تريدها يومًا بالإضافة إلى تلك الخِلقة التعسة! أخبرتها والدتها بأنها طيلة فترة حملها بها كانت ترى القطط السوداء، ربما لهذا السبب خُلِقت هكذا بسوء الحظ؛ لم تعطها عينيها الخضراء وشعرها البني الممزوج بخصلات صفراء، جمالًا أوروبيًا كما كان يقال عنها في صغرها، فهم أكثر ما كرهته في نفسها.

مررت بيدها نحو المرآة بدلًا عن تحسس وجهها، تلك التجاعيد الخفيفة التي لا تظهر إلا للعجائز اكتسبتها مؤخرًا لسبب لا تعلمه، ربما لأنها لا تضحك كثيرًا، تعلم... فقد قرأت المقال الذي يتحدث عن أن الضحك يُطيل العُمر ويُحسن البشرة، سخافات لم تكن ستلتفت لها قبل أن ترمي أمها تلك الكلمات الأسبوع الماضي، بالإضافة إلى تلك الغيوم السوداء التي تحيط بعينيها... لم تكن تتمنى أن تصبح هكذا ولكنها أيضًا لا تريد تغيير شيء.

عاد صوت أمها يؤذي آذانها من جديد، قبضت على يدها ودفعتها نحو المرآة وفي ثوانٍ كانت قد حطمتها إلى أشلاء، سقطت على الأرض وهي ترى الدماء تنزف منها، هذا الشعور.. كأن روحها العالقة وجدت سبيلًا للعودة إلى جسدها مرة أخرى، في مثل هذه الأوقات التعسة لم تكن تظن بأن السعادة ستطرق بابها، استمرت في الضحك حتى ظهرت نواجذها، فكُلما سمعت صوت قطرات الدماء تتساقط كُلما شعرت بأنها لم تُهمش بعد حتى خارت قواها ولم تشعر سوى بارتطام رأسها على الأرض، استطاعت رؤية باب غرفتها الذي فُتح بعنفٍ قبل أن تُغمض عينيها في استسلامٍ بدا عليها، لم تُفارق الحياة ولكنها كانت أمنية في لحظة لم تتساقط فيها الأشهُب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتح عينيه ببطء محاولًا التأقلُم على ذاك الضوء القوي المُندفع مِن شُرفته، إنها الشمس، ألدُ أعدائه، كُل صباح يستيقظُ فينهال عليه ضوئها ليُفسِد يومه، يتمنى فقط لو أنها تختفي للأبد، دقائق مرَّت وهو على تلك الحالة حتى نهض مِن على فِراشه متأففًا، توجه نحو شُرفته وقام بغلقها، وكأنهُ بفِعلته هذه يُعاقب الشمس على تَسلُل ضوئها إليه، دخل إلى مرحاضه وبدأ يستعد لتلك اللحظة التي سيَلتقي فيها بالفتاة التي طالما أعجبتهُ، كان يكره جميع النساء حتى التقت عيناه بعينيها؛ فبات يُحب النساء عامة لأنها منهم ويُحبها هي خاصة

لأنها أسرتهُ، إنها صديقته الوحيدة وعالمهُ الأخاذ.. كما كان يعتقد ويود، نظر إلى المرآة بعدما انتهى مِن تصفيف شعره قائلًا لانعكاسه بثقة:

-من أين ورثت كل هذا الجمال يا رجل؟

هَمّ ليخرُج مِن المرحاض لكن أوقفه ظهور صورة مُخيفة في مُخيلته، جعلتهُ يعود أدراجهُ مرة أخرى ليقف أمام المرآة محاولًا تكذيب عقله، فلم يجد شيئًا، لا يدري لماذا أتت تلك المُخيلة في رأسه، فكيف يظهرُ شيء آخر في المرآة ولا يوجد سِواه هُنا؟ نفض تلك الأفكار بعيدًا عنهُ وبدأ يُفكر في ذاك اللقاء الذي سيُغير مجرى حياته، كان قلبه يهبط ويرتفع عندما يتذكر بأن كُل خطوة سيخطوها ستُقرب المسافة بينهما، حاول كثيرًا الحفاظ على علاقاته ولكن الأمور تبوء بالفشل في كل مرة، لا يمكنه المجازفة أكثر في تلك الوحدة التي باتت تأكل قلبه، وحين سنحت له الفرصة حاول التشبث بها ليثبت لنفسه ولطبيبته بأنه لا يعاني من أي خطب، يجد في نفسه الكثير من الحيوية والحب حتى وإن كان يسودهما الخوف والكره في بعض الأحيان، يعرف جيدًا بأن اليأس لم يبتلعه بعد.

وقف أمام غرفته مذهولًا مِما رأى، لم تستطع قدماه حمله كما حال قلبه الذي سقط أرضًا معهما، يؤمن بعمار المنزل من الجان، الذين يتسللون والناس نيام ويقومون بكل شيء يمكنه نشر الفساد وتعكير مزاج جنس آدم، يمكنهم السرقة وإخفاء الأشياء، لكن أن يصل الأمر إلى تقطيع الملابس إلى أشلاء!

كانت صدمته أقوى من أن يُدركها عقل مليء بالهواجس، حاول الوصول إلى هاتفه ليتصل بها، فهي الوحيدة التي ستقول له حقيقة ما يحدث معهُ، حتى وإن كان لا يُصدقها..

وضع الهاتف على أذنيه ويده ترتجف، أغمض عينيه منتظرًا الإجابة، لم ترد من المرة الأولى فعاود الاتصال، سؤال يقتحم عقله وكاد أن ينتصر عليه، يخشى ذلك.. ألا يكون مريضًا وما بهِ شيء آخر يعجز عن حله بجلسات علاجية.

حينَ أجابت هذه المرة فتح عينيه بسرعة وكأنه عثر على كنزٍ مدفون في صحراء مليئة بعقارب سامة، هتف بهلع: هل أنا ممسوس؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-كانت هُناك حشرة، لم أتعمد كسر المرآة.

تفوهت بتلك الجملة الكاذبة في محاولة فاشلة لكسب تعاطف والدتها، لا تأبه للغضب بقدر ما تكره الأصوات المرتفعة، وصوت والدتها يُصيب عقلها بالاختناق.

لم تلتفت أمها لتبريراتها واستمرت في وضع المُطهر على يدها دون أن تُجيب، ابنتها مجنونة في نظرها، لا تُصدق بأن حشرة ستدفعها إلى كسر زُجاج بذاك الجسد الضعيف، حتى أنها لا تستطيع التحدث معها بشأن ذهابها إلى طبيب نفسي، فلسوء الحظ لا يذهبُ الطبيب لطبيب آخر في نفس تخصصه..

كبحت غضبها ولم ترفع صوتها على غير المعتاد، ربتت على يدها بعدما انتهت من لف الرباط عليها ثم تحدثت بحنيّة شعرت منها ابنتها بالقشعريرة:

-حمدًا لله أنكِ لم تُصابي بسوء يا «أسيل».

لم تجد «أسيل» إجابة سوى نظرات هائمة، ردة فعل لم تتوقعها من أمها التي تميل عليها الوحشية، إما أن الكائنات الفضائية استبدلتها أو أنها تفعل ذلك لشيء في نفسها، كل ما تعلمه بأن هذه ليست أمها التي تعرف.

نهضت من على الكرسي وأثناء طريقها لباب الغرفة نظرت إلى أشلاء المرآة المبعثرة، أسقطت نظرة خاطفة على أسيل جعلت قلبها يشتعل كمثل هذا الصباح ثم تركتها وذهبت دون أن ترمي كلمة أخرى، وهذا ما جعلها تُدرك بأنه لا وجود للكائنات الفضائية فأمها لم تختفِ قط، حتى وإن حاولت تجسيد اللطف ما زالت جامحة كما هي.

رن هاتفها بتلك النغمة التي تدفعها إلى القفز من شرفتها، تُحب تلك الموسيقى حتى وإن كانت تُصيبها بالغثيان، رأت اسم المُتصل فاعتدلت سريعًا في جلستها، نظرت إلى الباب مُتفحصة الفتحات التي يدخل منها الضوء تخشى أن تستمع إليها والدتها، لن تقدر على تفادي تلك الإهانات التي ستوجه لها، عندما اطمأنت بأنها لا تتنصت عليها كادت تُجيب لكن تفاجأت بأن المكالمة قد انتهت، تعلم بأنه سيعاود الاتصال بها مرة أخرى، رفعت أصابعها الصغيرة وبدأت في العد..

واحد، اثنان، ثـ... ابتسمت حين اتصل بها مرة أخرى، ما تفعله جنوني، لكنها تختبر مدى معرفتها به، هذه وظيفتها على كل حال!

حين أجابت جاءها صوته الهلع، انتفضت من مكانها، لم تكن تنتظر مكالمة مثل تلك، حاولت ألا تُبدي القلق على نبرتها فقالت بهدوء مصطنع:

- اِهدأ يا «رضوان» فأنا معك، أخبرني فقط ما الذي حدث؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وضع الهاتف جانبًا بعدما أنهى مكالمته، لم يكن يصدق بأنه سيقدر على المشي مرة أخرى، ارتدى ملابس أخرى له ثم أسقط نظرة خاطفة على ملابسه الممزقة قبل أن يهم بالخروج من غرفته، تلاشى شعور الخوف بداخله وكأنه لم يكن يرتجف قبل بضع دقائق، أخذ نفسًا عميقًا ومعهُ تجدد

شعوره بالاطمئنان، تلك الأيام مُخيفة بالنسبة لهُ، ربما لهذا السبب قرر الذهاب إلى طبيب نفسي دون أن يعلم أحد، إنه الشخص الوحيد الذي سيستطيع التحدث معه حول بغضه لحديث أقاربه بشأن مسّه بجنية عاشقة، حالات المزاج السيئة التي تُصيبه دومًا وامتناعه عن الزواج حتى بعدما تخطى الثلاثين، لا يعاني من أزمة مالية ولا هو عاطل عن العمل، هذا ما جعله حديث المساء والصباح بينهم، يعلم بأن الطبيب لن يُخبره بأن هُناك امرأة من الجان تعشقه حتى أنها تُبعد كل النساء عنهُ، ابتسم بسخرية حين تذكر كلام ابنة عمه حول نعتهُ بجاسوس مُعللة بأن الجواسيس وحدهم مَن لا يرغبون بالزواج ليتفرغوا للمهنة وهم أثرياء مثله، لا يعرف ما الذي دفعهم إلى التفكير في تلك التفاهات، كل ما يعلمه عن نفسه هو أنه لا يحب أحدًا، وإن فعل فقط لا يستمر هذا الشعور لمدة طويلة، لا يمكنه بناء أسرة وهو هكذا، تارة يشعر بأن لا أحد يمكنه أن يحب مثله وتارة أخرى يرغب بالاختفاء لأنه تورط في شيء مثل الحب، يبغضه ويتمنى قتل كل من يتحدث عنهُ.

أعاد مكالمته معها في ذهنه وتخللته الراحة حين هدَّأت من روعه، جلسته ليست اليوم ولكنها أخبرته بأنها ستُفرغ العيادة من أجله، سيصبح هذا يومه الخاص.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-أيهما تفضل؟ الاختناق حتى الموت أم السلخ حيًا؟

قالتها وهي تلف الكُرسي المتحرك نحوه كي ترى وجهه الذي غلبته علامات الاندهاش، لم يجد ما يقول فلم يتوقع سؤالًا مثل هذا، وضع يده فوق الأخرى وقال وهو مغمض العينين:

-لا أعرف في الحقيقة ما فائدة ذلك السؤال، ولكني لا أحب العنف.

وقفت وذهبت إلى مكتبها ثم عادت مرة أخرى، رفعت يديها لتقترب من فمه وبحوزتها المسجل الخاص بها، ضغطت على زر التسجيل ثم قالت بهدوء:

-صف لي شعورك الآن يا «رضوان»؟

صمت قليلًا ليُجيب بأسى ظهر جليًا على صوته:

-لا أشعر بأنني فعلت ما يتوجب عليَّ فعله، دائمًا الأشياء ناقصة ولا أستطيع بذل المزيد من الجهد، تلك الأيام تثبت لي بأنني لا أستطيع القيام بأي شيء وبأنني حتى وإن فعلت تنفذ طاقتي مع أول خطوة وكأنها لم تُشحن يومًا، التفوه بكلام زائف مثل أنني فعلت ما يتوجب عليَّ فعله وبأنني لم أسقط في منتصف الطريق وبأن طاقتي لم تختفِ، ذلك ليس من شيّمي، قلبي يحمل الكثير من الحزن ولا أدري كيف أمكنني الثبات طيلة هذا الوقت، أم أنني لم

أثبت قط؟ لا أعرف... منذ بكيت آخر مرة لم أستطع البكاء مرة أخرى، استنزفت دموعي وطاقتي وقدرتي على السعادة، لكن هناك شيء غريب في أمري؛ فأحيانًا أشعر بأنني سعيد جدًا لدرجة يمكنني فيها إسعاد غيري، وأوقات أخرى أشعر فيها بأنني أحمل أثقالًا فوق أثقالي، لا أتحمل العيش في تلك الحياة، حتى الفراشة إن لامست شرفتي في الصباح أشعرُ بأنها تتعدى على مُمتلكاتي وأتمنى لو أنها لا تطير لكان قتلها أسهل من إشعال سيجار، إن قلتِ لي بأنني سأتعافى سأتركك وأرحل فهذا ينافي تمامًا ما أشعر به وأوده، أحب كل ما قلته لكنني لا أستطيع التعايش معه، تعلمين أيتها الطبيبة؟ يجهل الإنسان طبيعة ما يقول، من السهل جدًا إخبارِكِ بأن الأيام ستمر وبأن حزنكِ لن يدوم طويلًا، وكل ما يحدث معكِ هو أن الحزن يتمدد حتى أن قلبك ما عاد يتسع لهُ، هل أنا ممسوس بجنية عاشقة كما يقولون عني؟ أحيانًا أتمنى لو أنني كذلك.. لكُنت طلبت منها قتلي.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها حين تذكرت أمنيتها التي لا تتحقق أبدًا، هي أيضًا تود لو أن أحدًا ما قام بقتلها، لا تأبه إن كان جنيًا أم إنسيًا ففي النهاية سيهوى جسدها البالي بإحدى القبور المظلمة التي تحتلها الديدان.

سار القلق في جسده ظنًا منه بأن عقله يلعب معه تلك اللعبة السخيفة، من الغريب ألا ترد على كلماته العبثية كما اعتاد أن تفعل، خائف من فتح عينيه ليجد بأنه في منزله يُحدث نفسه، أو أن مَن يحدثها تلك ليست الطبيبة بل الجنيّة التي لا تتركه لحال سبيله، فتح عينيه ببطء ليجدها ترمقه بحدة، ساد الصمت المكان حتى أن صوت ابتلاع ريقه بات مسموعًا، شعرت بالقلق الذي بدا على وجهه وهو ينظر لها، تعلم جيدًا بأنه يظنها وهمًا صنعه لنفسه، قالت بجمود في محاولة منها لتحطيم أفكاره:

-لماذا ترغب بالموت؟

أجابها بنفس نبرتها على خلاف قلبه الذي شعر بأنه كاد يتقطع إلى أشلاء من شدة ما يشعر به من ألم:

-تلك الحياة لم أخترها لنفسي، فقط أود أن أنام طويلًا دون أن توقظني الشمس.

أغلقت المسجل الخاص بها، أدرك بأن الجلسة قد انتهت فهمَّ بالنهوض، ولكنها أوقفته قائلة:

- هل هذه أمنيتك؟

نظر لها «رضوان» دون أن يُجيب، كادت أن تتكلم ولكن وصلها رده قائلًا:

- نعم، هذا ما أتمنى.

أمسكت بيديه قبل أن يهم بالخروج وقالت بحماس لم يعهده عليها من قبل:

-سنذهب إلى غرفة الألعاب، لم تنتهِ الجلسة بعد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حين دقت الساعة التاسعة ليلًا أغلقت عيادتها، تنهدت حين نظرت إلى المصباح المحترق، لقد استبدلته هذا الشهر للمرة الخامسة، تنتظر أن يُعطيها بابا نويل مصباحًا جديدًا فلن تتكلف عناء شراء واحد آخر وهي على علمٍ بأن حظها العاثر سيحرقه، صعدت إلى الدور الثالث حيثُ يقبع مقر التعذيب الخاص بها، تلك العمارة العريقة ذات الطراز القديم لم تستطع إخفاء الندوب في شققها، فتحت الباب لتجد والدتها ترتشف رشفة من كوب القهوة المفضلة لديها، تُخبرها نظرات أمها بأنها مريضة مثيرة للشفقة وإن كانت لم تتفوه بها فيكفي بأنها تفهم، وفي لحظتها تأكدت بأن ما ترمي إليه صحيح بالكامل، تحطيم الزجاج وصولًا للعبث بالدماء هذا هو الجنون الحقيقي، كطبيبة نفسية معروفة بتميزها -كما يلقبها الناس- تجد بأن علاج الجسد لا يقل أهمية عن علاج الروح، ولأن العلم لم يكتشف حتى الآن ماهية الروح وما توصلوا إليه لم يكن سوى افتراضات لا جدوى منها فتجد بأنه لا يوجد للثقوب التي تحدث بها علاج، ربما لهذا السبب لم تستخدم يومًا العقاقير مع مرضاها، في بعض الأحيان يتحتم على مرضى الاكتئاب ونوبات الهلع أخذ المهدئات، ولكنه علاج مؤقت يلجأ إليه الأطباء لعدم رغبتهم في إنفاق أموال طائلة على استصلاح عيادة حُطمت بالكامل على يد مريض ثائر..

تؤمن بأن المرضى ما هم إلا أشخاص قد انتشلت الرياح أرواحهم فلم تجد لها طريق عودة، والاستماع لهم كافٍ لرسم طريق جديد، فالجسد إن غابت عنه الروح وتُرك العقل يعمل منفردًا سيصبح وجبة مجانية له.

- مررت على عيادتكِ اليوم.

قالتها أمها عندما عبرت «أسيل» أمامها دون أن تلقي السلام، توقفت ثم نظرت لها تتفحص وجهها، عندما اطمأنت بأنها لم تعرف شيئًا قالت بنبرة حادة:

- لِماذا لم تدخلي إذًا؟

أجابتها أمها بنفس نبرتها:

- يبدو أن مصباح الدور الثاني قد احترق، استبدليه وإلا سيتأكد الناس بأنكِ تتعاملين مع العفاريت.

ابتسمت «أسيل» فهذه ثاني مرة اليوم تستمع فيها إلى سخافات العالم الآخر، دخلت إلى غرفتها وارتمت على سريرها الذي تشتاق إليه كُلما هَمت

بالذهاب عنهُ، عادت تتمنى لو يحدث به ثقب أسود فيبتلعها داخله على الرغم من أنها تعرف بأن أمانيها لا تتحقق، بدأ قلبها في الاعتصار، فهي لم تعتد على عدم رؤية مريض لها مرة أخرى، قد ذهب «رضوان» ولن يعود أبدًا، تنظر للمرضى على أنهم كنز ثمين بالنسبة لها، كلما حدقت في عينيهم شعرت بأنها ما زالت بخير وبأن افتراضات أمها حولها خاطئة، على الأقل تفهم حالتها على خلاف الذين لم يفهموا مكنون العلم النفسي، اعتدلت في جلستها ونظرت نحو المرآة الخاصة بها، قد لملمت أمها كل الزجاج المبعثر، ابتسمت حين تذكرت شعورها الذي لم تشعر به منذ مدة طويلة، أو بالتحديد منذ هددتها أمها ألا تؤذي نفسها وإلا ستُعذب في الجحيم، طوال حياتها تستمع إلى تلك الأشياء مثل النعيم المخلد في الجنة والعذاب المخلد في النار، ولم تقتنع يومًا بأن هُناك أسوأ من تلك الحياة التي تعيشها، مفهومها عن الموت بسيط جدًا مثلما قال «رضوان» هو نوم عميق فيه لن تُجبرها الشمس على فتح عينيها، ستنعم بشيء من الراحة في عالمٍ لن يتواجد فيه صوت أمها، أسقطت رأسها على وسادتها مرة أخرى ثم رفعت يدها اليمنى التي ظهرت عليها خدوش حديثة لم تلتئم بعد، أصدرت صوت أنين وهي تلمسهم فعضت على شفتيها وابتسمت، الألم لم يكن سوى لذة تسري في جسدها، أكملت ما كانت تفعله في جرحها حتى قالت لنفسها بخفوتٍ:

- يبدو بأنكِ ستعتادين على هذا الأمر يا «أسيل».

وضعت يديها خلف ظهرها وكأنها تُقيد نفسها، لا تستطيع النوم إلا بهذه الطريقة، تتذكر جيدًا ما جعلها هكذا وكأن عقلها لا يأبى الخروج من بلورة ذكرياتها، أغمضت عينيها فلم تجد سوى الظلام الذي يُعبر عن مكنونها، بعد دقائق تحول هذا الظلام إلى مكانٍ مُحترق، كُلما حركت عينيها وجدت ذاك الدُخان الرمادي ينتشر في الهواء، تألفُ هذا المكان وكأنها كانت به من قبل، رفعت رأسها إلى السماء فوجدتها فارغة، رمادية تخلو من النجوم والكواكب، علمت بأن هذه الأرض قد شهدت خرابًا لم يره أحد من قبل، الأرض مليئة بالأحجار المدببة التي تكفي باقتلاع جلد كل من يُفكر في العبور من فوقها، اكتشفت حين نظرت إلى قدميها بأنها لا ترتدي شيئًا، ابتسمت ابتسامتها الاعتيادية حين خطر في بالها بأنه لا طريقة أخرى للعبور، لا تمتلك أجنحة ولا تظن بأن هذا المكان الذي يسوده الخراب به وسيلة مواصلات، كل ما حولها يدفعها إلى التحرك نحو تلك الصخور ليس فقط لأنها تريد ذلك، وهذا يُثبت بأنها ليست غريبة الأطوار كما تظن والدتها، ارتفع صوت أنينها حين بدأت في المشي، لم تشعر بالذنب وقدماها تُمزق والدماء تسيل منهما، كُلما رفعت قدمًا ووضعت الأخرى تلتهمها اللذة، مرّت دقائق من السير والأحجار تمتزج بدمائها، لم يتحمل جسدها ما تفعله به فسقط أرضًا، حاولت النهوض مرة أخرى لتُكمل السير لكن الرؤية أصبحت ضبابية وجسدها لم يُلبِّ مطلبها،

يخذلها دائمًا ولا يتقبل تلك المتعة التي تشعر بها، استطاعت رؤية ذلك الرجل وهو يقترب منها، حملها ووضعها في ملاءة وقام بجرها على الأرض قبل أن تفقد الوعي للمرة الثانية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ماذا جلبت معك؟

أشار إلى جسد «أسيل» ببرود ثم هتف قائلًا:

- ذهبت لأُحضر بعض المياه فوجدتها ملقاة على الأرض والدماء تنزف من قدميها، يبدو أن جسدها لم يتحمل الأحجار المدببة التي وضعناها في الشمال لاصطياد الحيوانات، ما تعجبتُ منه هو أنني لم ألحظ على ملامحها الألم، كانت تبتسم..

صمت قليلًا ثم أردف:

- ذكرتني بابنتك.

اقترب الرجل منهُ وأمسك بياقتهُ وقال بتحذيرٍ بدا جليًا على وجهه:

- قُل هذا مرة أخرى وسأصنع من جلدك وسادة!

ارتجفت يداه فأشار لهُ بأن يهدأ ويتركه لأنه أوشك على الاختناق، قام الرجل بدفعه بعنفٍ وذهب ليُلقي نظرة على تلك الفتاة الغريبة، لقد شعر بوجود أحد ما يتلصص عليه اليوم ولكنه لم يرغب في النظر خلفه، المكان يعج بالجثث سواء أكانت مُتحللة أم ستتحلل قريبًا، لا يمكنه تخويف نفسه وهو من يبث الرعب في قلوب ضحاياه، اقترب منها حتى استطاع سماع أنفاسها، إن استطاعت تلك الفتاة المجيء إلى ذلك المكان فتخيلاته حول الأشباح لم تكن سوى وهم اخترعه عقله له، كيف لها المجيء إلى هُنا؟

أدار ظهره للفتاة ووجه حديثه لصديقه قائلًا:

- ماذا فعلت بالجثث الجديدة يا أخرق؟

امتعض وجهه ثم أجابه بحنق:

- إن كُنت تود مني العمل معك في تلك القذارة فنادني باسمي على الأقل!

ارتفعت من الآخر ضحكة امتزجت بخشونة صوته ثم رد بدوره:

- هل ظهرت عليك ملامح الرجولة اليوم؟

قبض على يديه حتى كادت تغرس أظافره في جلده، نهض وتوجه نحوه وهو يتوعده بأنه سيقتله، لكن أوقفه صوت أنين «أسيل» فأخذا يرمقان بعضهما

بنظرات حذرة، أرخى «سيد» قبضته وتوجه نحوها بهدوء، وجدها تتحسس قدميها وتأن ولكن وجهها لا يعلوه علامات الألم، نظر إلى «رفعت» والدهشة تسري على وجهه، لم يستطع كبح اندفاعه فصاح بهِ مِما جعل أسيل تفتح عينيها بفزعٍ:

- أقسم بالذي خلقني إنها لا تشعر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ذكرتني بابنتك..

ذلك المكان ذو رائحة كريهة، لم تستطع تحريك يديها لسد أنفها، عندما تشعر بالخطر تضع يديها خلف ظهرها وكأنها مُقيدة ولكنها دومًا تتدرب على تحرير يديها، تشعر بخيبة الأمل لأن تدريباتها لا تجدي نفعًا في أشد أوقات حاجتها لها.

تستطيع سماع شجارهم لكنها لا تقدر على فتح عينيها، مرة أخرى جسدها لا يُلبي مطلبها، يتخيل عقلها أسوأ المشاهد وعلى الرغم من ذلك لا يعتريها الخوف، فهمت من خلال حديثهم المزعج بأنهم مُجرمون لا يختلفون عنها كثيرًا، استطاعت بصعوبة تحريك يديها ولمس قدميها، انتشرت الإثارة في جسدها حين لامست جروحها، ربما هذا ما يسمونه بعودة الروح إلى الجسد، ذاك الأنين الذي تُصدره لا يوحي بالألم بل بالسعادة، لكن سُرعان ما أزاحت يديها حين تذكرت بأنها لا تستحق هذا الشعور، هي مجرد حشرة كل ما تستحقه صفع الأحذية لها، فتحت عينيها بفزعٍ لحدوث شيء لا تتذكره، وجدت نفسها في غرفتها والعصافير تُعلن مجيءَ الصباح، حاولت تحريك جسدها ولكن قدماها أبت ذلك، الأحلام تختفي بمجرد الاستيقاظ من النوم ولكن بالنسبة لها الواقع والحلم وجهان لعملة واحدة، لم تتفاجأ حين رأت الملاءة غارقة في دمائها، لا تختلف كثيرًا عن دماء «رضوان»، حمراء داكنة وتجف سريعًا بمجرد سقوطها، لا تحب رائحة الدماء فقط بل تعشقها، تتمنى لو يُصنع منه نبيذ يومًا ما، وهذا ما جعلها لا تود غسل تلك الملاءة ولكن ما أجبرها على ذلك رغبتها في عدم اكتشاف أمها الأمر، فإن علمت ذلك ستقوم بالكثير من الصراخ والصراخ والمزيد من الصراخ الذي يخنقها ويجعلها تتمنى أخذ سكينها وقطع لسانها في لحظتها ولكنها تكبح رغبتها حتى لا يُكتب عنها في الجرائد «الطبيبة النفسية التي قطعت لسان والدتها فقط لأنها تصرخ عليها» ستصبح حديث الإسكندرية لمدة لا تقل عن بعد موتها، فكل من سيمر من أمام عمارتها سيتحدث عنها بسوءٍ، يكفي أن هُناك أناسًا ينسحبون بهدوء حين يتحدث أحد عنها ليتجنبوا ويلات العفاريت التي تتحدث معهم في اعتقادهم، لا يعلم أحد بأن كل ما يدور حول حياتها هو بسبب الحظ العاثر، بداية من مجيئها إلى تلك الحياة لتحيا في تلك الشقة المقرفة إلى افتتاح عيادة لها لتلتقي بالمزيد من البؤساء ذوي الحظ السيء مثلها.

نهضت ببطء كي تتحاشى السقوط من على سريرها لكي لا تستمع إليها أمها، ما يُخالجها في تلك اللحظات شعورها بالذنب لأنها لم تستقر عن هذه العائلة حتى بعدما تخطت الثلاثين.

- الخوف هو ما سيجعلكِ تسقطين يا «أسيل» ليس قدميكِ المصابة.

- مرة أخرى بمحاولة أخرى، لا تستسلمي لحزنكِ.

- ستتجنبين حديث أمكِ ليومٍ آخر.

تفوهت بتلك الجمل التي لا تعرف معناها وهي تلملم الملاءة وتضعها في الخزانة الخاصة بها فما زالت لا تنوي غسلها، تذكرت شيئًا ما جعلها تجلب صندوق الاسعافات الأولية لتعالج الجروح، بعدما انتهت ارتدت ملابسها وكأنها في سباقٍ مع الزمن، لم تستطع الجري فاكتفت بالمشي ببطء، نادت عليها أمها قبل أن تفتح الباب وتهم بالخروج قائلة:

- ستنزلين إلى العيادة في ذلك الوقت؟

وجهت رأسها نحو ساعة الحائط لتجدها ما زالت السادسة صباحًا، ثم التفتت إلى أمها قائلة ببرودٍ:

- «قاسم» لن يأتي اليوم والعيادة بحاجة إلى التنظيف.

- قلت لكِ بأن هذا الرجل لعوب، لا يستطيع القيام بعمله على أكمل وجه لا أعرف لماذا تتمسكين بهِ حتى الآن، صحيح رجل تخطى الأربعين من عمره ولم يفكر في الزواج حتى الآن ماذا يفعل لديكِ في العيادة؟ لا تقولين بأنه يعمل فقط!

تنفست «أسيل» بهدوء كي تُخرج نوبة الغضب من جسدها، أجابت بنفس نبرتها المعتادة وهي تفتح الباب:

- أتمنى أن تتوقفي عن إلقاء الأحكام وتوفري وقتك لشيء آخر.

ثم أغلقته قبل أن يصل رد أمها إليها، هذه طريقتها في بدء شجار من العدم، «قاسم» صديق مُخلص لها، لكن أمها لا تتوقف عن رمي كلمات حول علاقتها بهِ حتى أثارت حنقها، لقد أعطته اليوم إجازة حتى تُنظف العيادة بنفسها، لن تستطيع إخبارها بذلك.

نزلت إلى الدور الثاني لتجده يجلس في الظلام بمفرده، حتى في الصباح لا يتسرب الضوء إلى هُنا فتكتفي باستخدام الكشاف الخاص بها، ورغم أنها تستطيع التوقع بسهولة لكن الدهشة لم تختفِ من وجهها فلم تكن تتخيل وجوده في ذلك الوقت..

- ماذا تفعل هُنا؟

نهض سريعًا وهندم ثيابه ثم تنحنح، لم يرها منذ مدة طويلة، ما زالت جميلة كآخر مرة رآها فيها، لاحظ تعجبها الذي لم تستطع إخفائه، حاول التخفيف من حدة دهشتها فقال سريعًا:

- في الحقيقة أردت رؤيتكِ، لكنني أُحرجت من زيارتكِ مُبكرًا فانتظرتكِ هُنا.

حاولت المشي بطريقة عادية كي لا يعرف بأنها مصابة، تحركت نحوه ووقفت أمامه متسائلة:

- ولكنك تعلم بأنني لا أقوم بفتح العيادة في هذا الوقت.

نظر في عينيها فعلمت مكنون هذه النظرة، يحادثها بصفته الشُرطي «جمال» وليس حبيبها السابق.

- هل تود التحدث في العيادة أم نذهب إلى مكانٍ آخر؟

ابتسم فدومًا يعتقد بأنها ذكية وسريعة البديهة، تستطيع معرفة ما يجول في خاطره دون التحدث بهِ، ربما لهذا أحبها في أول لقاء لهما، تحدث بنبرة الشرطي الجادة:

- في العيادة بما أن سؤالي بخصوص مرضاكِ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يجلس في مكتبه وأمامه الكثير من حالات الاختفاء التي لا تُعد ولا تُحصى، لا يعرف كيف يتجرأ أحد على تلطيخ يده بالدماء! الإنسان لا يتحمل نفسه فكيف بتحمل جثة شخص لا يعرفه؟ لا يفهم المجرمين أبدًا مهما حاول، ولكنه يتذكر حديثها ذات مرة عنهم حين قالت بأن القاتل لم يقتل إلا لأنه قُتل، وحين تساءل كيف لهذا أن يحدث قالت بهدوئها المعتاد بأن القتل لا يعني دس السكين بأحشاء الجسد عدة مرات..

قاطعه صوت دقات باب مكتبه ليأذن للطارق بالدخول، دخل «مُشير» ومعه حزمة أوراق جديدة.

جلس أمامه على المكتب ليبدأ زمام الحديث:

- هُناك بلاغ باختفاء رجل يُدعى « رضوان» يسكن في إحدى أحياء الإسكندرية، هل يمكنك التحقيق في الأمر؟

- من قام بالبلاغ؟

- خالتهُ، قالت بأنها قامت بزيارته ولكنها لم تعثر عليه.

- ألا يعمل؟

قالها وهو ينهض من على مكتبه ويجلس أمام صديقه، رد عليه «مُشير» وهو ينظر في الأوراق التي أمامه:

- ليس لدينا معلومات عن عمله، ولكننا عرفنا بأنه يذهب إلى طبيبة نفسية شهيرة تُدعى «أسيل» هل تود عنوان عيادتها؟

عندما سمع اسمها تسارعت دقات قلبه، نهض ولملم أشيائه وقال قبل ذهابه:

- لا بأس، سأتحقق من الأمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخرجت المفاتيح وهي تتمنى ألا يحدث ما يجول في خاطرها، تعلم لماذا أتى إلى هنا في هذه الساعة وهذا يعني بأن شكوكها في محلها، لن تستطيع إخباره بالذهاب إلى مكان آخر لأنها لا تستطيع السير بشكل طبيعي بسبب الجروح اللعينة، وإن حدث سيفهم بأنها لا توده الدخول إلى العيادة وهذا سيُثير شكوكه حولها، لم تكن تتمنى أن تضع نفسها في هذا الموقف يومًا ولا تعرف هل سيوجه لها الاتهام أم أنه فقط يرغب بالمساعدة؟

إن كان لديها جني ففي تلك اللحظات ستتمنى منه أن يُحلق بها إلى مكان لا يعرفها فيه أحد، لم ترغب يومًا في أن تصبح طبيبة نفسية أو أن تتخللها الشهرة، هذا فقط.. من سوء حظها.

فتحت الأضواء وهمت بالجلوس لكن أوقفها سؤاله الذي جعل جسدها يتخشب:

- الرائحة هُنا سيئة بحق، لِمَ لا تفتحين النوافذ؟

جلست وأشارت نحو النافذة كي يفتحها بنفسه، لم تمتن لأحد يومًا لأنه غبي بقدر ما امتنت له في تلك اللحظة.

- حسنًا أخبرني ماذا فعل مرضاي؟

عاد ليجلس أمامها، لا يعرف كيف سيتمكن من الحديث حول عمله بدلًا من قول «كم أنتِ جميلة اليوم!» كما اعتاد مسبقًا، كان يأتي لها كل يوم ليُخبرها بأنه اشتاق لها، أنهى الكوكب دورته ثلاث مرات وجاء الوقت الذي لم يكن يخطر على باله من قبل..

- تعرفين «رضوان»؟

نهضت بهدوء كي لا تضغط على قدميها فلاحظ تعرجها البسيط ولكنه لم يسأل، بحثت بين الأوراق لمدة دقيقتين حتى وجدت ما كانت تبحث عنهُ،

عادت للجلوس أمامه مرة أخرى وفي يديها الورقة.

- تسأل وأنت تعلم الجواب أيها الشرطي؟ نعم أعرفه، إنه مريض لدي، ما الأمر؟

- ما تلك الورقة التي في يديكِ؟

طبقتها نصفين أمامه ووضعتها في جيبها، تريد اختبار ردة فعله، نظر إليها في شكٍ ثم قال:

- لماذا قمتِ بدسها في ملابسك؟

ابتسمت ابتسامتها المزعجة في نظر الآخرين، ولكن في نظره هو يعلم ما وراء تلك الابتسامة، هي تتلاعب بهِ، أخرجت الورقة مرة أخرى ثم قالت موضحة:

- تعلم بأن الطبيب النفسي لا يكشف أسرار مرضاه، لهذا وضعتها في جيبي، أما إن تساءلت لماذا قمت بالبحث عن الورقة فهذا لأنني أعلم بأنك ستطلبها مني، وسأعطيك إياها إن قلت لي ما الأمر دون أن تُشعرني بأنك تُحقق معي.

كاد أن يتحدث ولكنها أوقفته مكملة حديثها ولم تختفِ تلك الابتسامة من على شفتيها:

- أعلم بأنك لم تجلب تصريحًا رسميًا.

لم يعلم ماذا يقول، ولكنه بدأ يعيد تفكيره عنها، هي لم تكن كذلك أبدًا منذ ثلاث سنوات.. ماذا حدث لتصبح هجومية هكذا؟

- بلغت خالته عن اختفائه قبل مجيئي إليكِ.

- كنت تعرف بأنه مريض عندي، لِمَ سألت عن معرفتي به؟

وضع يديه خلف رأسه بحرج ثم قال موضحًا:

- لقد اعتدتُ فعل ذلك كجزء من التحقيق.

تنفست «أسيل» بعمق..

- «رضوان» هو مريض اضطراب ثنائي القطب، يزورني منذ سنتين، لم يكن يتعافى بل يزداد سوءًا، حاولت مساعدته بقدر استطاعتي ولكنه كان يأبى..

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم تابعت حديثها قائلة بأسفٍ مُصطنع:

- زارني بالأمس..

أشار لها لتُتابع حديثها، نظرت في عينيه ففهمت بأنه قد صدقها، تابعت بنفس النبرة:

- قال لي بأنه يرغب في الموت، حاولت أن أبدأ معه طريقة جديدة في العلاج ولكنه رفض وتركني وذهب، منذ أمس وأنا أحاول الوصول إليه ولكنني لم أستطع، سأرسل لك مقر عمله لتسأل هُناك.

أثناء حديثهم دوى صوت سقوط شيء ما، بالنسبة لهُ لم يستطع تحديد مصدر الصوت، لكن بالنسبة لها وجهت عينيها نحو الممر، الممر الذي لا يدخله سوى الهواء و«أسيل» وبعض المرضى، حتى أن «قاسم» لم يُفكر يومًا في استكشاف ما يقبع هناك.

نهض «جمال» واتجه لبداية الممر، لم يستطع رؤية شيء بسبب الظلام فعاد وجلس أمامها مرة أخرى، نظر لها فوجدها لم تسقط عينيها عنه فشعر بأن هُناك خطبًا ما..

- ماذا يوجد هناك؟

حركت عينيها بهدوء لتتجه نحوه.

- ألا تعلم بأنني أخشى الفئران؟ في نهاية هذا الممر توجد غرفة بها أشياء قديمة لا نستخدمها وبالطبع لا تخلو الأماكن المهجورة من الفئران.

ابتسم وهمَّ بالنهوض، أخذ منها الورقة وشكرها على مساعدته، وأخبرها بأن تتصل بهِ إن عثرت عليه، شعرت بأنها كاذبة حين أومأت بالموافقة، عندما ذهب تنفست بشكل طبيعي وكأن الهواء وجد سبيلًا للعودة إلى رئتيها، نهضت لتُغلق باب العيادة ثم توجهت نحو غرفة الألعاب، حيث يقبع أسلوبها الجديد في العلاج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- إلى أين سنذهب؟

ابتسمت فشعر بالاطمئنان، أمسكت يديه ودخلت معه إلى الممر، شعر بالخوف لأن المكان مظلم ولكنه لم يأبه بذلك طالما أنها بجواره، فتحت الغرفة التي لا يوجد بها سوى ثلاجة وأريكة حمراء ومصباح أحمر صغير.

- تلك هي غرفة الألعاب.

- لِمَ سميتها هكذا؟

قالها وهو يتمدد على الأريكة، أخرجت من ملابسها سكينًا وظنت بأنه لم يستطع رؤيته..

- لم تسمع يومًا عن الغرفة الحمراء صحيح؟ إنها تلك الغرفة التي يقومون فيها بإرسال الأرواح إلى السماء.. ألا تريد تحرير روحك من عبث الأرض؟

عمَّ المكان بالصمت، تمنت لو أن ينتشر في العالم بأكمله وليس في تلك الغرفة فقط، قطعه «رضوان» قائلًا:

- رأيتُ السكين في يديكِ، حرري روحي كما شئتِ ولكن بشرط.

رفعت السكين أمام عينيها وشعرت بأن النار تسري في جسدها، كلما أمسكت بها لم تستطع التعرف على نفسها الضعيفة الهشة.

- ألا تشعر بالألم صحيح؟

أومأ بالموافقة، فتحت الثلاجة وأخرجت كوب مياه وعلبة صغيرة لم يستطع تحديد ما هي، أفرغت ما في العلبة والذي ظنه مياهًا أيضًا ووضعته في كوب الماء ثم أمرته بأن يشرب، ارتجفت يده عند أخذه للكوب ولكن كانت رغبته في الموت تتخطى خوفه في ذلك الوقت، شرب الكوب ولم يحدث شيء فنظر لها ليفهم لِمَ لا يموت.. ارتفعت منها ضحكات متتالية حتى ظن بأنه يهذي.

- أنت أحمق؟ هل سأقتلك هنا وأقوم بتلويث العيادة مثلًا؟

ثم قالت بنبرة حادة:

- لا تذهب إلى منزلك إلا بعد يومين، في اليوم الثالث ستتحرر روحك، وحتى لا يشك أحد بأن اختفائك يعني انتحارك اجعلهم يظنون بأنك قُتلت.

وضعت السكين بجانبه ثم فتحت الباب، أردفت قبل أن تهم بالخروج:

- «قاسم» يأتي إلى هُنا بالمساء حتى يتأكد بأنني لم أنسَ إغلاق العيادة، إن أردت البقاء هنا حتى الصباح سآتي إليك، لكن لا تُصدر صوتًا حتى لا يسمعك..

ثم قالت وهي تُغلق الباب خلفها:

- بالطبع إن علم «قاسم» بوجودك لن تنعم بالراحة أبدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صعدت إلى منزلها وهي ترتدي المعطف الأبيض الخاص بها، شيء لا تفعله في أيامها العادية، لكن لا يمكن لأمها رؤية ملابسها الملطخة بالدماء، تسللت إلى غرفتها وأبدلت ملابسها، ثم جلست على سريرها تُفكر فيمَ تفعل، أقصى ما يمكنها فعله هو تسليم نفسها إلى الشرطة، إن ذهبت لهُ في ذلك الوقت فسيتأكد بأنها من اختطفت «رضوان».

أغمضت عينيها لتهرب من عالم لا تفهمه إلى عالمٍ لا تعرفه، وكأن روحها تعاقبها على جريمة سابقة فعلتها وهي لا تدري، هل كُتبَ عليها العناء فقط؟

هذه المرة لم تذهب إلى ذلك المكان الذي يسوده الخراب، وجدت نفسها في غرفتها القديمة، الشيء الذي دفعها إلى إسقاط دمعة من عينيها وهي تتلفت يمينًا ويسارًا، وكأنها مواساة قاسية من الحياة تخبرها فيها بأنها لم تقترف أي خطأ..

استمعت إلى خطواته المفزعة وصوت صراخ أمها حين يسقط الحزام الجلدي على جسدها العاري، نظرت إلى المرآة لتشعر بأن روحها عادت بالزمن إلى ما قبل عام 2022 بخمس عشرة سنة، حيث كان لديها سبعة عشر عام فقط!

ابتلعت ريقها بصعوبة ونظرت حولها، تذكرت حين كانت تفعل ذلك لتجد مخبئًا سريًا تتخفى فيه حتى لا يعثر عليها، لكنها لم تجد سوى خزانتها التي فتحها ذات مرة بسهولة وأخرجها منها بعنفٍ.

فُتح باب غرفتها فوجدته يقف أمامها والحزام الجلدي يلتف حول يده، سقطت الدموع من عينيها وهي التي لم تعهد البكاء قط، كانت مشاعر فتاة لم تنتهِ من فترة المراهقة بعد.

اقترب منها وهو يعض على شفتيه قائلًا بصوته الجهوري:

- لماذا لم تذهبي إلى المدرسة اليوم؟

لم ترد عليه فاقترب منها ولف شعرها على يديه وبدأ باللعن والسباب، ثم بصق في وجهها، حاولت التملص منه لكن دون جدوى، كان أقوى منها بكثير، جاءت أمها من خلفها لتكبح غضبه نحو ابنتها، لكنه قام بدفعها فسقطت لتصدم رأسها بالأرض، انتظرت نهوضها لكنها لم تفعل.. كان جسدها أضعف من أن يقاوم بعد كل هذا النزيف، قام بدفعها نحو السرير الخاص بها، مزَّق ملابسها وقام بإسقاط الحزام الجلدي على جسدها عدة مرات متتالية، في البداية كانت تشعر بالألم الذي يدفعها إلى تمني الموت، ولكنه فجأة تحول إلى صمت جعله يزداد في فعلته، سمعت صوت تكسر عظامها، لكن لم يكن لديها القدرة على إيقافه، أمها ملقاة على الأرض وهو فوقها يعطيها دروسًا في المازوخية، يعلمها كيف تصبح الطرف الأضعف، كيف تصبح لا شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخلت إلى قسم الشرطة وهي تلهث، لا يمكنها تكذيب ما رأته حتى وإن أقسم الجميع بأن ما شاهدته مجرد حلم لا فائدة له، لا تعرف لماذا جلبتها قدماها إلى هُنا بدلًا من العيادة، لكنه سيطاردها هُناك وهذا هو المكان الوحيد

الذي لن يستطيع الوصول إليها فيه، وإن كان الثمن هو تلقيبها بالمجنونة، طلبت الشرطي «جمال» فأخبروها بأن لديه عمل ولن يستطيع التواجد معها في تلك اللحظة، لكنها صرخت بهم حتى استطاع سماعها، خرج فوجدها بملابس المنزل تصرخ في الشرطي الآخر وتتوعده بالقتل، كاد أن يقبض عليها ولكن أشار إليه «جمال» بالابتعاد، حين رأته ركضت نحوه فلم تتحمل قدميها وسقطت، ما زالت الجروح لم تلتئم بعد وقد نسيت أمرهم تمامًا، شعرت بقشعريرة تسري في جسدها حين لمسها ليساعدها على النهوض لكنها تجاهلت الأمر، لم تأتِ إلى هُنا كي تتذكر مشاعرها السخيفة نحوه.

دخلت إلى مكتبه وساعدها في الجلوس لكنها لم تلبث دقيقتين حتى انفجرت باكية، اقترب منها ووضع يديه على قدميها.

- هل تؤلمكِ؟

هزت رأسها نافية وقالت وهي تحارب أنفاسها المتسارعة:

- حاولت ألا ألطخ ثيابي بدناءَتِه، فتركت جسده يجف من دمائه دون أن أتحرك خطوة واحدة نحوه، أعلم بأن البشر بمكنهم كسر كل القواعد حتى تلك التي وضعوها بأيديهم ورغم ذلك صدقت بأن الوغد يمكنه أن يتحول إلى مُخلص.. أيَّ مُخلص ذاك؟

ألقبه بالمُخلص وهو كان يحاول قتلي لولا أنه اختار تلك الزهرية كي تعطي المائدة الخاصة بمنزلنا شكلًا مختلفًا، سخيف جدًا صحيح؟ شيء وضعته بيدك للزينة يكون سببًا في قتلك.

مسحت دموعها ثم أردفت:

- سبع سنوات في الطب ظننت بأنها ذهبت دون جدوى، لكنها الآن تأتي في بالي وأبتسم، لولاها لما كُنت سأعلم بمثلث الموت في وجه الإنسان، أو حتى بمنطقة الصدغ، لم أكن أصدق حين ذاك بأن ضربة مثل تلك تؤدي إلى الموت، لذلك قُمت بتشويه جسده، فكرت في أنه حتى وإن عاش _بطريقة ما_ ألا ينسى ابنتهُ.

رأت الدهشة على وجهه، تعلم بأنه يظن بأنها جريئة جدًا، إما أن الجنون قد احتل جزء من عقلها.. أو عقلها كله!

- أنا وقحة جدًا! أحدثك عن فِعلتي البشعة دون أن أُعرفك بنفسي، بالتأكيد أنت تعرف.. اسمي.. سني.. نشأتي، تعرف كل ما هو مزيف، ما كنت تعرفهُ عني قبل ثلاث سنوات.

ظنت بأنه سيقبض عليها وهذا ما تريده منه، لكنه فاجأها حين تحركت شفتيه لترسم ابتسامة قد أزعجتها كثيرًا..

- هل الابتسام هو كل ما يمكنك فعله لقاتلة مثلي؟ أم أنني مضحكة برأيك؟

توقف عن الابتسام، اقترب منها حتى تقاربت أنفاسهما، نظر لها نظرة ذات معنى، تعلمها جيدًا.. تلك التي رأتها على وجه أبيها وهي في السابعة عشر من عمرها، أبعدت وجهها عنه ونظرت في الأرض.

- لم أكن أظن بأنك هكذا.. تسخر مني ثم تقترب دون إذن!

نهض وابتعد عنها، جلس على مكتبه ثم حرك يده على رأسه ليزيل حرجه مِمَا حدث، حاول كسر الصمت الذي انتشر في المكان بعد محاولته في تقبيلها والتي بائت بالفشل..

- ماذا تقولين؟ قتل؟ وبيانات شخصية مزيفة؟ هل أنتِ من المافيا؟

لم يسعها سوى الضحك فلا تدري ما تقول، لا تفهمه.. من المفترض أن يحقق معها بشأن قضية القتل التي تتكلم عنها، هي لا تكذب بشأن ذلك الأمر، قد ارتكبت تلك الجريمة قبل بضع سنوات ولكن أحلامها لا تتركها وشأنها، لم تعثر الشرطة عليها لسبب لا تعرفه، ولكنها تود الذهاب إلى مكان حيث لا يمكنها أن تحلم به مرة أخرى.

حاولت النهوض ولكن الألم ازداد في قدميها، أصدرت صوت أنين فنهض «جمال» سريعًا وتوجه نحوها، رأى قدميها فوجد بأن الضمادات قد تلوثت من الدماء وبأنها بحاجة إلى تغييرها حتى لا تصاب بتسمم، فهي لم تجلب معها حذاءً حتى! وضعت يديها على كتفيه وقالت بصوت مخمور:

- ما زلت تسخر مني يا «جمال»؟

ثم أردفت:

- أريد أن أبكي فقط، هل يمكنك الذهاب معي إلى مكان أستطيع البكاء فيه دون أن يراني الناس؟

نظر إلى هيئتها التي لا تُبشر بخيرٍ، فإن تحركت خطوة واحدة ستفقد الوعي، جسدها الضعيف ووجهها المرهق، فوق هذا قدميها التي ما زالت تنزف، لا يعرف كيف استطاعت إيذاء نفسها بهذا الشكل..

- هل هذا ما ترغبين به؟

- هذا كل ما أرغب به.

شدها حتى سقطت بين أحضانه، لم تستطع قول كلمة «لا» كما اعتادت، هي بحاجة إلى ذلك العناق بعد تلك الأيام القاسية، قلبها مُتعب وما تراه يوميًا يحولها إلى وحشٍ لا تستطيع كبح رغباته، تخشى أن تتبدد هويتها وأن تفقد نفسها، لا ترغب في أن تصبح مسخًا كما تعتقد أمها، تريد الموت بسلامٍ.. لِمَ هذا صعب جدًا؟

- تبكين لاختفاء «رضوان»؟

لم ترد عليه، لا تعرف هل سيصدقها هذه المرة أم لن يفعل كما لم يصدقها منذ دقائق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت إلى منزلها بعدما قام «جمال» بتوصيلها، رفض تصديقها كما توقعت، تشعر بالاشمئزاز من جسدها بعدما سمحت له بعناقها، لا تستحق سوى الموت، تتمنى لو كانت أقوى فتمزق جسدها بسكينها، لكنها ضعيفة.. ضعيفة جدًا لدرجة أنه لا يمكنها فعل ذلك.

تحركت ببطء حتى لا تسمعها أمها، ستتأكد إن رأتها بأن هناك علاقة بينها وبين «قاسم»، لا تأبه بقدميها بقدر ما ترغب في أن تنام نومة هادئة بعد هذا اليوم الطويل..

دخلت إلى غرفتها ثم أحضرت صندوق الاسعافات الأولية.

- ماذا لو تركتكِ دون تطهير؟ سأموت حينها، أو ستتورمين حتى يقومون ببتركِ..

قالتها وهي تخاطب قدمها، ثم تابعت حديثها قائلة:

- ولكن هُناك جثة لم نخرجها من العيادة بعد، ماذا أفعل؟

نظرت حولها تبحث عن تلك البوابة التي ستخرجها من ذلك العالم، لكنها لم تجد سوى خيبتها الكبرى، لا تشعر بالذنب على ما فعلت ولكنها تشعر بالتعب، ستُجبر غدًا على فعل ما كانت تراه طيلة حياتها شيئًا يدعو إلى القرف، ستلوث يديها التي لم تُلطخ يومًا سوى بدمائها.

وضعت صندوق الاسعافات جانبًا وارتمت على سريرها، لم تعد تأبه للألم، حتى أنه لم يعد يشعرها بوجودها كالسابق.. فقط ترغب بالنوم، هذا كل ما توده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظرت نحو باب العيادة كي تتأكد بأن «جمال» لن يعود، ينتابها الشك لأنه قد سمع الصوت وصدقها بسهولة، دخلت إلى الممر، لم يلتقط أنفها سوى تلك

الرائحة الكريهة التي كانت تشمها من قبل في أحلامها، شعرت بالخوف يسري في جسدها، لا تعلم هل ستجده حيًا أم ميتًا، لكن هذه كانت مجرد مياه على خلاف توقعاته بأنها سُم، تتمنى لو أنها الفئران وبأنه ذهب إلى منزله بعدما تركته، لكن صوت سقوط الشيء الذي دوى في أرجاء العيادة لم يبشر بأي خير، فتحت باب الغرفة بهدوء فظهرت الرائحة بشكل أقوى، تتذكر «رضوان» وابتسامته المذهلة التي طالما أدهشتها حتى في أوقات يأسه، تُصدق ابتسامة المريض النفسي على خلاف أي شخص آخر، هم لا يفكرون في ما يظنه الناس عنهم، فعندما يبتسمون أو يقولون بأنهم سُعداء حتى ولو بشكل مؤقت فهم يشعرون بذلك فعلًا، لا تُصدق بأن صاحب تلك الابتسامة الرائعة غارقًا في دمائه، كانت لديه جرأة كافية لحمل السكين وطعن نفسه عدة طعنات.

وكان شرطه الوحيد ألا يشعر بالألم، أصبحت مُتأكدة بأن الشعور الوحيد الذي كان يحتله هو الألم.. لا تتحقق الأمنيات في هذا العالم البائس حتى وإن توسلنا إليه أن يحققها لنا، لن يأبه بإن كانت لحظتنا الأولى أم الأخيرة، تُنفخ فينا الروح فنصرخ، وتُسلب منا فنصرخ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتحت عينيها لتجد أمها تجلس بجوارها وتتمتم بكلمات لا تفهمها، علمت فيما بعد بأنها الرقية الشرعية، لم تشعر بالألم في قدميها فوجدت بأنها قد طهرت الجروح لها وهي نائمة.

- لماذا أنتِ هُنا؟

سقطت دمعة من عين والدتها وهي تتساءل:

- هل تحلمين به؟

علمت ما ترمي إليه، فقالت وهي تفرك عينيها بيديها:

- لا تقولين بأنكِ تُشفقين عليّ، لِمَ طهرتِ الجروح؟ كنت سأتركها هكذا.

صفعتها على وجهها ثم نهضت وهي تقول بتحذير:

- متى ستفيقين؟ بربكِ ماذا فعلتِ بنفسكِ؟ لقد أغلقنا حكايته تمامًا، لمَ الآن تحديدًا تريدين القفز عبر الزمن؟ توقفي عن ذلك وإلا..

وضعت يديها على خدها، ابتسمت بسخافة ثم قطعت كلامها قائلة:

- هذا لا ينفع معي، يده أقوى من يديكِ.

عادت أمها للجلوس مرة أخرى وبدأت في الصراخ عليها لكي تفيق، أغمضت عينيها ثم وضعت يديها على آذانها حتى لا تستمع إليها، تكره هذا الصوت.. تكرهه وتتمنى أن تموت ويموت معها.

- أرجوكِ توقفي لا أستطيع التحمل.. لا تصرخي.. لا تصرخي!

بدأت في البكاء وهي مستمرة في تكرار «لا تصرخي..»

نظرت إليها أمها بحسرةٍ على ما آل إليه الوضع، ثم نهضت وتركتها بمفردها، انهمرت «أسيل» في بكائها، يبدو بأنها لن تتخلص من «أسيل» المراهقة، تلك الذكريات القاسية لا تود الاختفاء من حياتها، لا تعرف لِمَ لا يتوقف الوقت حين نأمره بالتوقف؟ لِمَ يستمر ونحنُ لا نرغب في عيش تلك الثواني التي تقتل فينا كل ما هو طيّب؟

فلسفة الحياة مزعجة جدًا، تُصيبها بالغثيان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان يجلس في مكتبه وهو يفكر فيها، لم يرها بهذا الشكل منذ أن عرفها، دائمًا اعتاد بأنها صامدة أمام صعوبات حياتها، كان يحسدها على صمودها ذلك وابتسامتها التي لا تفارقها، بالأمس ذهبت تلك الابتسامة ولم يعثر إلا على الخوف والحزن، ما الذي حدث معها ليجعلها تثور بهذا الشكل؟

- هل عثرت على «رضوان»؟

تنهد «جمال» ثم أجاب بأسفٍ:

- لا، ذهبت إلى مكان عمله لكنهم أخبروني بأنه أخذ إجازة مفتوحة.

- هل تظن بأنه قُتل؟

تذكر «جمال» حديثها عنهُ فقال:

- أظن بأننا سنعثر على جثته قريبًا.

التهم « مُشير» ظفره وهو يتساءل بلامبالاة:

- هل زرت منزله؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست على شاطئ الاسكندرية، على الرغم من أنها من ترابها لكنها لا تذهب إليه إلا في أشد حالاتها بؤسًا، أوقفت العمل في العيادة في هذه الأيام حتى لا تُفضح بشأن جثة «رضوان» وكأنه قرر ألا يتركها لحال سبيلها، في النهاية هي من تركت له السكين عمدًا حتى لا تكلفه عناء البحث عن أداة حادة، أوهمته

بأنها وضعت شيئًا في الماء ولكنها لم تفعل، كانت تتمنى لو أنه مات من الوهم الذي صنعته له ولم يقدم على قتل نفسه وتلويث يديها، تعلم بأنها لا تستطيع الإقدام على فعل شيء كهذا، ولا تعرف ما الذي تفعله بالجثة، هل تقطعها إلى أشلاء وتدفنها أم تتركها في الثلاجة فقط كما يحدث في قصص الجريمة.. كم تتمنى أن تعثر على آكل لحوم بشر في تلك اللحظات، لكنها بما أنها طبيبة فيكفي استخدام حمض الهيدروفلوريك، ستعمل على إذابة الجلد واللحم وسيستغرق منها إذابة العظام يومين فقط إلا إذا رفعت الحرارة قليلًا، ولكن هذا صعب جدًا فهي لا تمتلك المعدات اللازمة لكل هذا، تشعر بالذنب لأنها لم تتخصص في الطب الشرعي بدلًا من الطب النفسي.

وجدت فتاة ذات ملامح جامدة ترمقها بنظرات حادة، أعجبت بلفة حجابها وذلك الحلي الفضي الذي يزين حاجبها الأيمن، ابتسمت «أسيل» لها حتى تتأكد بأنها لا تقرأ أفكارها، اقتربت منها لتجلس بجوارها ثم قالت وهي تتطلع إلى البحر:

- تلك الأمواج تُشبه الأرواح، ألا تظنين ذلك؟

لم تُجب عليها فاستمرت «أسيل» بالحديث دون أن تُبالي:

- أنا طبيبة نفسية، ألم تسمعي عني؟

لم ترتسم ردة فعل على ملامحها، مما دفع «أسيل» على السُعال من كثرة الضحك ثم قالت بمزاحٍ:

- ملامحكِ صادقة وهذا ما دفعني للحديث معكِ، ربما سأفكر في تسميتكِ فتاة الصقيع.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة ثم قالت بهدوءٍ:

- أظن بأن الأمواج تُشبه العالم.

ابتسمت «أسيل» على حديثها، لم تلتقِ بشخصٍ صادق مثل تلك الفتاة من قبل، ليست مُجبرة على الابتسام في وجهها لمجرد أنها بادرت بالحديث إليها، لن تفعل شيئًا إلا لو توده حقًا، وهذا هو الصدق.. لكن الأهم من ذلك، تأكدت بأنها لا تقرأ أفكارها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت إلى ذلك المبنى الذي تتمنى لو أنها رحلت عنه، كان بالنسبة لها المنقذ من شقتها القديمة ولكنه بات يؤلمها هو أيضًا، أدركت بأن المشكلة ليست في الأماكن، المشكلة فيها هي.

فتحت العيادة ببطء، لا ترغب في انتشار رائحة الجثة في الدور بأكمله، لكنها تنفست بعمق حين لاحظت بأنه لا يوجد رائحة، أغلقت الباب خلفها ثم اتجهت إلى الممر المظلم الذي قررت ألا تحضر له مصباحًا، سيصبح بوابة خاصة للعبور إلى عالم الموتى، ما عدا هي.. فحارس ما بين العالمين ومع الأسفِ لا يمكنه الموت.

فتحت الباب ببطء حتى تمهد لأنفها ما ستلقاه من عذابٍ، لكنها شعرت بأن هناك خطبًا في حاسة شمها، لا يمكنها التقاط أي رائحة!

فتحت الباب على مصراعيه، ثم سقطت على الأرض من هوّل ما رأت.. بدأت في البكاء بهستيرية وما يجول في خاطرها سؤال واحد لا تجد له إجابة، أين ذهبت جثة «رضوان»؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتح عينيه في ذهولٍ من تفكير صديقه، ثم قال وهو يلملم أشياءه:

- هل قالت خالته بأنها دخلت إلى شقته ولم تجده؟

هز رأسه نافيًا ثم أردف:

- قالت بأنه لا يتواجد في منزله.

اختفى «جمال» من أمامه حين استمع إلى تلك الجملة، هل يعقل بأنه كان هناك طيلة هذا الوقت ولم يبلغ أحد عن الرائحة؟ ماذا عن حديث «أسيل»؟ أكانت تكذب عليه أم أنه عاد إلى منزله بعدما انتهى من جلسته معها؟

ذهب إلى عنوانه، طرق الباب ولكن لم يكن هناك رد كما توقع، حاول كسر الباب ولكنه لم يكن يُكسر، بعد المرة الخامسة استطاع تحطيم القفل ودخل، سَعل عندما تحررت الرائحة الكريهة، يعلم لماذا لم يشعر أحد بشيء، لقد أغلق النوافذ وكل ثغر يساعد الهواء على التجدد، بحث في كل مكان لكنه لم يعثر على جثته، تذكر بأنه لم يبحث في الحمام، لكنه لم يقدر على الدخول فالرائحة تجعله كما الساكِر، اتصل «بمشير» ليجلب معه الطبيب الشرعي والإسعاف، لم يستطع تحمل الوقوف في الشقة فانتظر في الخارج، يُفكر في الشيء الذي دفعه إلى القيام بذلك الأمر، هل اضطراب في المشاعر يستلزم كل هذا العناء؟

اتصل بها لكنه لم يجد ردًا، لا يعلم ماذا تفعل في هذا الوقت ولكنه يشفق عليها إن علمت بأن مريضًا لديها قد انتحر، لا يعرف كيف ستتمكن من التخلص من الشعور بالذنب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا تعلم أين تبحث عنهُ، الاسكندرية كبيرة جدًا لتبحث عن أحدٍ بمفردها، وفوقه أن يكون هذا الشخص مجرد جثة كادت أن تتحلل، أستخبر الناس «هل عثر أحدكم على جثة بالية تعج بالحياة تمشي من هنا؟» تركتها في مكان بمفردها لمدة لا تقل عن يومين ثم عندما ذهبت لها لم تجدها؟ هذا شيء لا يُصدقه عقل لم يؤمن يومًا بخرافات الجدات.

لِمَ لا تستطيع تشخيص حالتها كما تفعل بمرضاها؟ هي بحاجة إلى أحدٍ تقص عليه حكايتها، وأن تستمر بالتحدث دون أن يقاطعها، ألا تضطر إلى أخذ المهدئات التي تُشبه المارجيوانا، وأن تتمنى فتلقى ما تتمناه.

جاءها صوت فتاة تألفه من خلفها:

- أنتِ «أسيل»؟

التفت لها فوجدت بأنها فتاة الصقيع، تلتقي مرة أخرى بها لكن هذه المرة ليست أمام البحر، بل أمام المبنى التي تسكن فيه، المبنى الذي يحوي جثثًا تسير بمفردها لتختفي دون أي أثر.

- ماذا تفعلين هنا؟

تجاهلت سؤالها لتُجيب بسؤال آخر:

- هل كنتِ تبكين؟

قبل أن تُجيب «أسيل» قالت بنبرة حادة:

- لا أهتم.

ثم همت بالرحيل، لاحظت «أسيل» حقيبة السفر التي تحملها فقالت بملامح جامدة:

- أعطيتكِ هاتفي اللقاء الفائت صحيح؟ اتصلي بي في أي وقت شئتِ.. ولكن هل يمكنكِ إخباري بشيء؟

التفتت لها ببرود ثم أومأت برأسها فقالت «أسيل» وهي تنظر في عينيها بجمود:

- هل هناك حياة بعد الموت؟

اقتربت منها فتاة الصقيع لتهمس في أذنها قائلة:

- بالنسبة لي الموت هو الحياة، لا فارق.

ثم تركتها غارقةٍ في حيرتها وذهبت، كانت ترغب في قول «أين ذهبت جثة «رضوان»؟» بدلًا من «هل هناك حياة بعد الموت؟» ولكنها لا تريد التفوه بذلك الأمر، ماذا ستفعل إن أخبرتها بأن الجثث لا يُبث فيها الروح، وأنها حين ترحل لا مجال لعودتها مرة أخرى؟ ماذا ستفعل إن قالت لها بأنها تتوهم، وبأنه لم يحدث أي مِمَا رأت وشعرت ولمست!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حاول الاتصال بها مرة أخرى ولكنها لم تُجِب، حضر فريق البحث الجنائي ومعهم الإسعاف، قاموا بإخراج الجثة من الحمام، بدا التعفن واضحًا عليها، فلم يكن يتحمل أحد تلك الرائحة.

- لا يوجد آثار كدمات، يبدو بأننا سننتظر نتيجة التشريح.

قالها الطبيب الشرعي، كاد أن يُجيب «جمال» ولكن ظهرت هي من العدم ووجهت حديثها له قائلة:

- لم ينتحر صحيح؟

نظر لها الطبيب دون أن يُجيب، لكنه فعل عندما أشار إليه «جمال» بالرد:

- سنعرفُ ذلك بعدما نقوم بتشريح الجثمان، لكن لم نعثر على ما يدل بأنه تسمم..

ثم أكمل مُتسائلًا:

- من أنتِ؟

قالت وهي توجه عينيها نحو الشقة:

- أنا «أسيل» طبيبته النفسية.

تنهد الطبيب ثم وجه لها التعازي الحارة، الجميع يعلم بأنه من الصعب على الطبيب النفسي فقدان مريض لديه، لكنها وحدها تشعر بالرضا، لا تعلم كيف مات ولكنها تشعر بأنه يُحلق في السماء من السعادة، تحسده لأنه ذهب دون أن يعرض عليها الذهاب معه، لو كان أخبرها بأنه يود الرحيل وهو ممسك بيديها لكانت حققت لهُ أمنيته، لا تعرفُ كيف ستتجرأ على قتل نفسها ولكنها حتمًا ستجد حلًا حينها، ربما ستكتشف بأنها تُجيد القتل، فالجينات شيء لا يمكننا إنكاره.

وجهت حديثها نحو «جمال» الذي لم تسقط عيناه عنها:

- أعرف فيمَ تُفكر، كيف علمت بأن جثته هنا؟ لقد بحثت عنه في كل مكان ولم أجده، فكرت في أنه في منزله، أخبرني دومًا بأنه مكانه الآمن.

ثم ابتسمت وقالت ممازحة:

- يبدو بأنك بحاجة إلى مساعدتي، لدي حس شُرطي ماهر.

اقترب منها ليضمها بين ضلوعه، ابتسامتها تُخفي الكثير من الحزن، يعلم كم تحاول إخفاء شعورها بالذنب لأنها تركته يرحل، اعتاد منها على ذلك.

تكره بأن يلمسها أحد ولكنها تصمت لأنه لا حل آخر، هي بحاجة إلى ذلك العناق، لم تبكِ فقط اكتفت باستنشاق رائحته، كانت تظن بأن رائحة الرجال واحدة ولكن جلد « جمال» يفرز رائحة مختلفة، إن وجده مصاص دماء سيصبح وليمة مغذية بالنسبة له.

- أنتِ بخير؟

ابتعدت عنه، أومأت برأسها ثم قالت بهدوئها المعتاد:

- سأذهب إلى المنزل لآخذ قسطًا من الراحة، لا بأس معك في محادثتي لاحقًا لنتناقش حول كيف حدث هذا الأمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«أسيل...»

مرَّت الأيام على قلبي منذ فقدان «رضوان» كمرور شاحنة من فوقي، لا أقدر على التنفس، الخمول يتزايدُ في جسدي، أشعر بالذنب لأنه مات ومن ثم أقول لنفسي أنني لستُ المُلامة على ذلك، فهو من كان يرغب به، أخبرني «جمال» منذ يومين بأن نتائج التشريح ظهرت وبأنه مات إثر نوبة هلع، لا أحد يعلم ماذا رأى ليُصاب بها في الحمام، ولكنني أعرفُ، كان يُخبرني بأن عقله يجسد له الخوف، يرى أشياء ليس بمقدور أحد غيره رؤيتها، هذا ما دفعه للشعور بأنه ممسوس، لم أكن أعرف بأن إحدى خيالاته ستكون السبب في موته يومًا ما، كتبت في ملفه بأنه مريض اضطراب ثنائي القطب، ولكنني اكتشفتُ بأنه يُعاني من الفصام، ربما لم أخبره لأنني خفتُ بأن يظن أنه لا شيء حقيقي حتى وإن كان كذلك.

هل المازوخية ستقتلني؟ لستُ متأكدة من ذلك، كل ما أستطيع فعله هو التسجيل لنفسي في يومٍ لا يكون لدي جلسات كثيرة بهِ، بدأت في الذهاب إلى المؤتمرات، الجميع يُمجد في الطبيبة «أسيل» التي تُعالج مرضاها بطريقة مستحدثة، بينما على الجانب الآخر رفعت خالة «رضوان» عليّ بعض من القضايا تتهمني فيهم بأنني من قتلت ابن اختها العزيز، تصرفات البشر تدفعني إلى الضحك، يظنون بأنني لا أكترث بحديثهم عني بينما أنا ألوم نفسي في صِغار الأمور، ذات مرة انقطعت الكهرباء وأنا أتحدث إلى الأطباء، ظن الجميع أنه بسبب عطل في السلك الكهربائي ولكنني علمت بأنه بسبب سوء

حظي، لأنني ولدت في ذلك العالم، زارني اليوم شخص تعرفت عليه في إحدى المؤتمرات يلقب ب- « ر» أحضر معه صديقه الذي يدعى «ستيفن» كنت أعرفه ولكنني لم أحظَ معه سوى بمقابلة بعيدة استطعت فيها تحديد وجهه، عندما رأيته ظننت بأنه شخص آخر حتى أخبرني بأنه «ستيفن» المعهود، سألته عن شكله الذي تغير ففاجأني حين قال بأنها عملية تجميل! يظن بأنني حمقاء، ابتسمت حينها وأنا على علم بأنه كاذب، لكنني لم أرفض مساعدته، ما تحدث عنه كان مثيرًا لفضولي فَكيف لبلدة كاملة أن تشعر بالألم؟

وجدته يتفهم ما أقول دون أن يندهش، رأيت بأن «ستيفن» المزيف شخص رائع، لا أتفهم سبب كذبه عليَّ، ولكنه أدهشني.

كُلما فتحت عيني في الصباح تذكرت «رضوان» وهو يقول لي بأنني النور الذي ساعده على الرؤية.. عندما أتنهد أشعر بأن النيران تخرج من أنفاسي، ولكن «رضوان» يُخبرني بأنه تنهيدتي تُريح أعصابه، ربما إن عثرتُ أنا عن شخص أقص عليه يومي وأخبره بشعوري المقزز الذي لن يتقبله أحد، سأرى بأن كل شيء يخصه مريح بالنسبة لي، فعند تذكره أعرف بأنني سأتخلص من الكلمات السامة في حلقي دون لوم نفسي أنني تحدثتُ.

بالمناسبة، اليوم اشتريتُ زُجاجًا جديدًا بدلًا عن الذي كُسر، أخبرتني أمي باستهزاء:

- هل جلبتي واحدًا آخر ليلحق بأخيه؟

ربما هي محقة لأنني كنت أنوي كسره مرة أخرى، ولكنني رغبتُ في رؤية عيني الخضراء بوضوح، تذكره بات مُمتعًا بالنسبة لي، ألا يتشنج جسدي لفترة طويلة من الزمن بعد أن كدتُ أعتاد عليه كان صعبًا بالنسبة لي، لكن مع ظهور تلك الأحلام التي تؤذي جسدي وتُغذي روحي تغير الأمر كثيرًا، أمي خائفة مني وليس عليّ، تخشى أن أتحول مثله.. قد اكتسبت عينيه وجيناته المريضة، لكن المسكينة لا تعلم بأن السادية تُعلم الضعف والخضوع.

لدي جلسة الأسبوع القادم، تلك الفتاة رائعة جدًا، تسمى «سارة» ما زالت في بداية العشرين من عمرها، هذه أول جلسة لها عندي، الغريب في أمري هو أنها أول مريضة لدي لا أشعر بالأسف نحوها لأنها أصيبت بذاك المرض، بالنسبة لمريضة مازوخية مثلي ما هو الأفضل من الشعور بالموت كل ليلة، كل دقيقة، كل نفس؟ أخبرني أخيها عنها وبأنها لا تحب الأطباء النفسيين، لا أستطيع الجزم بأنها ستغير رأيها حين تراني، لأنني أيضًا لا أحب الأطباء النفسيين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغلقت التسجيل عندما استمعت إلى صوت «قاسم» وهو يصرخ في أحد ما، نبهت عليه ألا يرفع صوته لأنها لا تُحب الضوضاء ولكنه لسبب لا تعلمه قد خالف حديثها توًا، خرجت لتجد شابًا لم يسبق لها رؤيته من قبل يقف أمام «قاسم» ويطلب رؤيتها.

- ما الذي يحدث هنا؟

توجه «قاسم» إليها وهو يشير إلى ذاك الشاب:

- لقد أتى دون موعد، هددني..

ابتسمت لتثبت له أنها ليست غاضبة منه، ثم قالت وهي تنظر إلى الشاب؛

- وهل هذا يدفعك للصراخ في وجه شقيق «رضوان» يا «قاسم»؟

صُدم حين قالت جملتها تلك، قرر الصمت والخروج من العيادة بينما رحبت «أسيل» به.

- كيف تعرفتِ عليّ؟

كُلما نظرت إلى وجهه تذكرت «رضوان»، كان يُخبرها عن أخيه من والده، لا يعلم أحد بشأنه سواها فكان من السهل جدًا التعرف عليه، لم ترد على سؤاله كعادتها، لا تُحب البوح بأسرار مرضاها بهذه السهولة، خصوصًا إن كان شخص لا تعرفه.

- لماذا أتيت؟

- هل أخي كان مريضًا؟

صمتت قليلًا ثم أجابت بدورها بنبرة استهزاء:

- هل تظنه ممسوسًا أنت أيضًا؟

مسح يده على رأسه ثم قال وهو مطأطأ الرأس:

- الجميع يظن ذلك، جئتُ لكِ لتشرحي لي حالتهُ..

ابتسمت بسخرية ثم قالت:

- وماذا ينفع في ذلك الآن؟ إن كنت حضرت مبكرًا لكنت أخبرتك، لكنك اخترت التوقيت الخطأ.

أسقط دمعة من عينيه استطاعت رؤيتها فأكملت حديثها:

- كانت لديه بعض الاضطرابات التي لم يستطع التغلب عليها، ما توصلت إليه هو أن مرضه كان وراثيًا، فيبدو بأن والدته كانت مصابة بالاكتئاب أثناء فترة حمله، كان من المفترض علاجه وهو في مرحلة الطفولة المبكرة، لكن لم يلحظ ذلك أحد سواه، وخلال معرفتي به علمتُ بأنه اعتاد على عدم التحدث حول أموره الخاصة، فلم يكن يجد أحدًا يستمع إليه.

وجدت التعجب على وجهه فأردفت موضحة:

- اسمع، كيف يُصاب الإنسان بالمرض النفسي؟ يصاب لسببين، إما عوامل جسدية أو بيئية، إن كان لديه جينات من والد مُصاب بمرض نفسي فحتمًا سيولد لديه جزء من هذا المرض، نُفضل نحن علاجها في سن صغير حتى لا يتطور المرض ويصل إلى الموت، أما العوامل البيئية فهي مثل العنف الذي يحدث في المنزل، أو وفاة شخص قريب مما يخلق صدمات نفسية، أما عن «رضوان» فإصابته بهذه الاضطرابات ليست سوى جينات، وانتهى به الأمر على فراش الـ...

قاطعها والدموع تسيل من عينيه:

- لماذا لم تساعديه؟

شعرت بنغزة في قلبها، كانت تتجاهل هذا الشعور ولكن سؤاله جعلها تسقط من السماء السابعة على رأسها.

- لا أستطيع القول بأنني لا أُلام على هذا الأمر، كان باستطاعتي استخدام مضادات الاكتئاب والمهدئات ولكنني لم أفعل؛ لم أعتد فعل هذا الشيء مع مرضاي فما هو إلا تأجيل لموعد الموت فقط..

مسح دموعه ثم تركها وذهب، لم ينطق بكلمة واحدة، لا تعرف ماذا ستكون ردة فعله إذا قالت لهُ بأنها من ذكرت الموت أولًا أمام « رضوان»، لم تكن تعرف بأنه سيتمسك بتلك الفكرة، كانت تقولها فقط لأنها فكرت فيها في لحظتها، رُبما الجزء الأكبر من موته يقع على عاتقيها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«أسيل....»

قلقت كثيرًا على نفسي عندما حركت يدي وفتحت تسجيل جديد مرة أخرى، لا أحب الحديث لمدة طويلة فيكفي مرة ليوم واحد لكنني لم أكن أتوقع زيارة شقيق «رضوان» الذي لم يكن يتواصل معهُ لأنه طوال عمره يظن بأن والده يحبه أكثر منه، مشاعر الغيرة والغضب من ولادته كانت سببًا كافيًا لمقاطعته لسنين طويلة، لكنه كان يخبرني بأنه يحبه وينتظر اليوم الذي سيعتذر منه لأنه وُلِد، فهو لم يرغب في تلك الحياة أصلًا..

يذكرني شقيقه بنفسي عندما كنت أنظر إلى أختي التي تصغرني بخمس سنوات بشيء من الغضب، كلما كان أبي يلعب معها أشعر بأنني أكرهها، لِمَ يلعب معها ومعي يُعلن سقوط الإنسانية من العالم؟ لم يفكر يومًا في عناقي أو إخباري بأنني «فتاته الجميلة المدللة» كما يفعل معها، ذاك الحزام الجلدي لم يسقط سوى على جسدي وجسد أمي، يلومها بأنها أنجبتني وهو لم يكن يرغب بي، كُلما رأى وجهي بصق عليه وقرر وضع علامات جديدة على جسدي، كنتُ أغار من أختي وأكره وجودها في المنزل، حاولت كثيرًا أن أجعل أبي يغضب منها مثلما يفعل معي ولكن وقتها تحول كل شيء ضدي، لقد استطاعت مداعبته والمزاح معه، وفي وسط ضحكاته معها التفت لي وقام بسبِّي ولعن وجودي.

لا أعرف لِمَ أنجبني إن لم يرغب في فتاة مثلي، لماذا لم يلقِ بكروموسوماته في سلة المهملات؟

لم تكن المشكلة في كوني «فتاة»، ولكنني لم أفهم موضع المشكلة حتى بعدما مات، أحلم بهِ وأتجاهل بأنني أفعل، يمكنني رؤيته وهو يسلخ إحدى ضحاياه دون أن أتفاجأ من أن هذا أبي، يمكنني الاستمتاع وهو يفصل قدم الجثة التي أمامه ويضعها في فمي، هذا لأنني ابنته..

قررت الصمت والاكتفاء بالقول أن المازوخية شيء بشع مثلما يظن الناس، قلبي يؤلمني عندما أنظر على تطبيقات التواصل الاجتماعي وأجدهم يسبون أصحاب تلك الشخصية، منذ فتحت تلك العيادة لم يزرني مريض مازوخية، أتعلم السبب؟

لأنهم لا يمكنهم القول بأنهم يتلذذون بأشياء لا يمكن لشخص طبيعي تلقيبها سوى بالقذارة، لم يسأل أحد «هل هم يرغبون في تلك الحياة؟» «كيف يتعاملون مع هذا المرض؟»

لم يفكر أحد في ذلك، فكيف يطلقون الأحكام؟ تلك السارة هي أول فتاة تأتي إليّ وبها مرض يُشبه مرضي، على خلاف بأنها لا تشعر بأي شيء، فأنا أبحث عن الألم وأجده، بينما هي حتى وإن حاولت بكل طاقتها لا تجده في أي مكان، لأن الميت في الأصل لا يشعر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

« سارة »

كانت السماء تمطر وهي لا تفعل شيئًا سوى النظر لسقوط الأمطار من شرفتها، استمعت إلى أخيها وهو يقول بأن المطر يشعره بالانتشاء، بينما هي لا تشعر بأي شيء على خلاف تجمد قدميها وهذا لا يحدث في هذا الموسم

فقط، بل دومًا قدميها متجمدة، وضعت يديها باتجاه قلبها فلم تشعر بنبضه، ستذهب بعد أسبوع لتلك الطبيبة التي رشحها لها أخوها ولكنها لم تُبالِ بذلك الأمر، لا تود الذهاب إليها ولكن أخوها يصمم على ذلك، هذا ليس مرض نفسي ليأخذها إلى عيادة نفسية بدلًا من طبيب للأعصاب، تجد بأن ما يحدث معها هو بوادر شلل، من الطبيعي ألا تستمع إلى دقات قلبها، ومن الطبيعي أن تتجمد قدميها ولا تشعر بهما، كل ما تستطيع فعله هو الاستهزاء بِما تشعر، فهي لا تشعر.

جلس بجوارها ووضع يديه على كتفيها لكنها لم تستطع الشعور بهِ، ثم قال بشجنٍ بدا جليًا على نبرته:

- هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟

نظرت لهُ لتجد عينيه مليئة بالحزن، تعلم بأنه يتألم على حالها، لكنها لا تتذكر طبيعة شعوره فهو لم يخالجها منذ مدة طويلة، هي أشبه بالميت الذي استمر في التحرك وكان من المفترض ألا يفعل.

ابتسمت لهُ في محاولة فاشلة للتخفيف عنه:

- هل أنت جائع؟ أشعر بالجوع جدًا.

نظر لها نظرة شك، يعلم بأنها تتحدث بهذا الشكل لمواساته، يتذكر ذاك الوقت الذي حدثته فيه وهي شبه نائمة وقالت بأنها تظن أنها لا تمتلك معدة، لا تدري إلى أين يذهب الطعام؟ لا تشعر بالجوع ولا بالشبع.

ربت على رأسها ثم ذهب ليعد الطعام، عقلها لا يكف عن تذكر تلك الأيام المريرة، تعلم ما الذي جعلها هكذا، ظلت تخشى من الإصابة بأي مرض حتى دقت جميع الأمراض بابها، فما تخشاه يلاحقها حتى وإن حاولت التخفي بعباءة خفية، مرَّت عليها الأيام وهي ترفض الأكل لأنها تظن أنه مليء بالكائنات الصغيرة السامة التي تتحرك دومًا كما تتحرك الديدان ولا نستطيع رؤيتها، امتنعت عن السير حتى لا تُصاب بكسر في عظام الساقين، وقررت ألا تنظر للشاشات الإلكترونية حتى لا تخسر عينيها، ابتعدت عن كل ما يُصيبها بالألم، ثم تحول الأمر تدريجيًا إلى الشعور بالعدم، لا شيء يخالجها، لا تشعر بأنها جائعة، أحيانًا تظن بأنها لا تستطيع التنفس لأنها لا تمتلك رئتين، تغمض عينيها لأوقات طويلة حتى وإن لم تكن نائمة على اعتقاد منها بأنه قد قام شخص ما باقتلاعهما، دائمة الشعور بالقلق والخوف من كل شيء، إن اقترب منها أخوها تصرخ لأنها لا تود منه الاقتراب، جميع الأطباء يقولون بأنه لا خطب في جسدها وبالصدفة سمع عن الطبيبة «أسيل» التي تُعالج المرضى بطريقة ابتكارية حديثة، عرض الأمر عليها ولكنها رفضت معللة بأنها بخير، كل ما

يحدث معها هو لأنه هناك خطب ما في أعصابها، حدد الموعد دون إخبارها وفاجأها اليوم بذاك الخبر، قررت عدم الذهاب إلى مكانٍ ستلقبها صاحبته بالمجنونة، لم تعترف يومًا بأن الأطباء النفسيين ذوي نفع على البشرية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغلقت «أسيل» التسجيل الخاص بها ثم همت بالرحيل، عندما خرجت لم تجد «قاسم» في العيادة فعرفت بأنه قد رحل، يُشبه النسمة العليلة التي لا تُصدر إزعاجًا، يأتي ويذهب كما شاء، ففي عيادتها لا تضع سوى قانون واحد وهو «ممنوع الصوت المرتفع»، غير ذلك يمكن لأي أحد القيام بأي شيء طالما أنه لا يخالف القانون الأول والأخير، يكفي تلك القواعد المهولة التي يضعها البشر خارج عيادتها..

صعدت إلى المنزل فوجدت بأنه هادئ على غير عادته، دائمًا في غرفتها ولا تراها إلا في لحظاتٍ عابرة، بينما أمها لا تختفي من أمامها أبدًا، تشعر بالراحة لفكرة أنها وأخيرًا دخلت إلى منزلها ولم تجدها جالسة أمام الباب وكأنها تنتظرها لتفتعل معها شجارًا يفسد لها ليلتها.

دخلت إلى غرفتها بهدوءٍ، نظرت إلى المرآة وفكت ربطة شعرها، رأته منسدلًا فتذكرت عندما كان يلفه حول يده، كانت ترغب في قصه ولكن لا يليق بها الشعر القصير.

توجهت نحو خزانتها وأخرجت ملابسها الملوثة بالدماء، لا تعرف دماء من هذه؟ إن لم يكن «رضوان» هو من التقته في غرفة الألعاب فمن هو؟ ارتمت على فراشها وهي تتذكر ما حدث معها في الأيام السابقة لتعرضه أمام عينيها..

أخبرت «رضوان» بأن الجلسة لم تنتهِ ومن ثم ذهبت بهِ إلى غرفة الألعاب، أعطته كوبًا مليئًا بالمياه فظن بأنه سُم، شربه وسألها «لِمَ لا أموت؟» ومن ثم تركت بجواره السكين الخاص بها وتركته وذهبت، عادت في اليوم الثاني لتجد «جمال» في انتظارها، ليسألها عن اختفاءه ثم صدر صوت سقوط شيء من غرفة الألعاب، تعلم بأنها لم تستمع إليه وحدها فهي لم تتوهم، صدق «جمال» بأنها الفئران بينما هي انتظرته ليرحل، دخلت فوجدت «رضوان» عائمًا في دمائه..

لهذا ملابسها التي تمسكها في يديها ملطخة بالدماء!

لكنها عندما عادت مرة أخرى لتتخلص من الجثة لم تجده ووجده «جمال» ميتًا في حمام منزله إثر نوبة هلع، لم تتواجد قطرة دماء واحدة هناك، لا تعرف

ماذا يحدث في حياتها، لا تفهم شيئًا ولا تصدق بأن «رضوان» قد نظف جسده وذهب إلى منزله ليموت هُناك..

تركت زمام الأمور لأحلامها، لن تستطيع التفكير أكثر من ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- تذكرني بابنتكَ..

فتحت عينيها لتجد نفسها في ذلك المكان مرة أخرى وأمامها الغريبان اللذان لا تعرفهما، تستطيع أن تألف صوت الرجل الذي كان يهدد الرجل الآخر باقتلاع رأسه، يُشبه الصوت الذي لا تريد تذكره.

نظرت لقدميها فوجدت بأنها قد شُفيت تمامًا، استطاعت النهوض فنظرا لها، التفت «سيد» لها وحدق بها كما لو أنه رأى عفريتًا، هز «رفعت» بيديه ثم همس بصوت استطاعت هي سماعه:

- تمتلك نفس لون عينيك! ألا تذكرك بأحدٍ ما؟

نظرت «أسيل» لذلك الرجل، حاولت التركيز في وجهه لكنها لم تتذكره، ذلك الرجل الأبله يلمح له بأنها ابنته، روحها تسافر إلى أماكن لا تعرفها ولم يسبق لها رؤيتها، بل ويتأثر جسدها بما تفعله في ذلك الوقت، لهذا عندما استيقظت وجدت الجروح ولم تختفِ، وعندما عادت إلى الحلم مرة أخرى ذهبت عنها الجروح لأنها شُفيت في الواقع، ذلك هو عالم الأحلام بالنسبة لها.

لكن أن ترى والدها شخصيًا بعد مرور تلك السنين؟ هذا ما لا تصدقه، لقد تحول إلى تراب كيف له العودة مرة أخرى ليتجسد في أحلامها بهذا الشكل البشع! لم تعرفه من كثرة تجاعيد وجهه وقبحهُ، باتت تُصدق بوجود عذاب ما بعد الموت، وهذا المكان الذي تتواجد به عبارة عن مذبحة، إن نظرت يمينها ستجد قدمًا على أظافرها طلاء لونه أحمر، وإن نظرت يسارها ستجد يدًا مليئة بالشعر تزينها ساعة فضية، لا تدري من أين يأتون بتلك الجثث ولكنهم من الواضح أنهم لا يتركونها سليمة.

اقترب ذلك الذي يشبه أباها منها، وضع يديه على وجهها فابتعدت عنه قائلة:

- من أنت؟ وما هذا المكان؟

بصق بقايا الطعام التي في فمه على الأرض ثم اقترب منها وهو يطقطق رقبته وقال بابتسامة شعرت منها بالخوف:

- ألا تعرفينني؟ سأذكركِ من أنا.

ركضت لكنه كان أسرع منها، أمسكها من شعرها وقام بلفه حول يده، بصق في وجهها ثم دفعها على الأرض، كان «سيد» ينظر إلى ما يحدث وهو يأكل رغيف الخبز الخاص به، حاولت النهوض ولكن الألم بدأ ينتشر في جسدها، تحرك نحوها ببطء وهي تزحف إلى الخلف حتى اصطدمت بالحائط، لا يوجد لديها مفر، نظرت إلى «سيد» نظرات استعطاف ولكنه بدا وأنه لا يشعر سوى بالاستمتاع، فهو صديق أبيها في النهاية ويعيش معه في ذلك المكان اللعين، هل ستنمو له أجنحة ملائكة؟

بدأت الدموع تسيل من عينيها، تتذكر تلك الفتاة ذات السابعة عشر وترفض أن تكونها، مسحت دموعها قبل أن يمسكها من ثيابها ويبدأ بتمزيقهم، قالت والدموع تتجمع في حلقها حتى كادت تخنقها:

- لماذا تفعل هذا بي؟ ما الخطأ الذي اقترفته بحق ربك الذي تعبده!

أجاب وهو يمسك بالسوط المصنوع من الجلد، كان ملقيًا على الأرض ومليئًا بالدماء:

- لأنكِ ولدتِ..

بدأ يصفعها بالسوط حتى خرجت الدماء من جسدها وساعده على ذلك قيامه بتعريتها، خالجها شعورها القديم، تجمع الخوف والألم في قلبها، لا تستطيع الدفاع عن نفسها، تشعر بأنها حقيرة وأقل من أن تطلب الحرية، كلما أسقط السوط على جسدها بدأت في الاعتياد، ضربة تلي الأخرى حتى بات الألم شيئًا يشعل الإثارة في جسدها، رمى السوط بعيدًا ثم اقترب منها وقام بتقييد يديها خلف ظهرها، هذه الحركة التي تفعلها دومًا بمجرد تمديد جسدها على السرير، أغمضت عينيها في استسلامٍ ثم تركته يركل بقدميه في بطنها وهي تكتم أنينها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظت وهي تتقيأ بجوار سريرها، فتحت أمها الباب تلته الأضواء وركضت نحوها، كادت أن تصرخ ولكن «أسيل» أوقفتها وهي تمسح الدماء من على شفتيها:

- ارفعي صوتكِ بعيدًا عن غرفتي..

وضعت أمها يدًا على قلبها والأخرى على فمها لتصمت، لا يمكنها رؤية ابنتها بهذا الشكل، فهي في النهاية ابنتها حتى وإن كان يخبرها زوجها بأنها ابنة للشيطان وليست لهُ، بدأ جسدها في الارتجاف، لا ترغب بإغماض عينيها لكنها تشعر بإرهاق شديد، جسدها مليء بالكدمات وأمها واقفة أمامها لا تفعل شيئًا سوى البكاء بصمت، هي مَن تُضرب وتُهان وأمها مَن تبكي؟ ضحكت بتلقائية

فوضعت يديها على بطنها بتألم، حتى الشيء الوحيد الذي يرفه عن نفسها لا تستطيع فعله، لا تعرف هل الألم يعكر مزاجها أم يسعدها، ففي الحالتين هو كظلها لا يمكنه تركها إلا إذا تسلل الظلام إليها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرَّ أسبوع منذ آخر حادث، لم تذهب إلى عيادتها لشدة الإصابات التي حلت بها، لكن اليوم يوم مُميز بالنسبة لها، اليوم ستلتقي «سارة»، تلك الفتاة التي منذ سمعت عنها تندهش، دلفت إلى عيادتها بابتسامة متلاشية الكدمات التي لم تشفَ بعد، ما زالت تؤلمها لكن لا يمكنها السماح لتلك الكدمات اللعينة بتعكير مزاجها اليوم.

استمعت إلى صوت خطواتٍ بالخارج، فتحت الباب لتجد فتاة قصيرة بحجابٍ منمق ورجل يلف ذراعيه حولها، استطاعت معرفته فورًا بمجرد النظر إليه، لقد زارها من قبل لحجز تلك الجلسة،

طلبت منه القدوم إلى مكتبها وترك «سارة» بضع دقائق، لم تكترث « سارة» بالأمر وجلست على الأريكة وعينيها تحوم حول المكان بصمتٍ مُريب، تكره اللون الأبيض وبالطبع ستكره تلك الطبيبة التي اختارت ذلك الطلاء المزعج.

في المكتب طلبت من «زيد» الجلوس ثم أخرجت ورقة بها بيانات غير مكتملة ثم قالت وهي تعطيها إياه:

- لقد نسيت إخبارك بأنني بحاجة إلى رقم هاتفك، فلا يمكنك القدوم معها كل مرة.

بدت علامات التعجب على وجهه.

- لماذا؟

لم تختفِ الابتسامة من على شفتيها وهي تقول:

- لا أعرف إن كنت ستتفهم الأمر ولكن المريض بحاجة إلى مساحته الخاصة، يعني أنا هنا لا أعتبر أن «سارة» مريضة، بل هي إنسانة طبيعية لديها بعض المشاكل وسنقوم بحلها معًا، قدومك معها يشبه ذهابكم إلى طبيب الأسنان مثلًا وهذا مختلف تمامًا عن العلاج النفسي الذي أقدمه هنا لمرضاي.

نظرت إلى وجهه فوجدت بأن الراحة قد تخللته، أردفت مكملة حديثها:

- لهذا أطلب رقمك، إن كنت بحاجة إليك سأتصل بك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- مرحبًا بكِ، كيف حالكِ؟

لم تهتم «سارة» بالنظر لها أو الرد عليها، فأمسكت «أسيل» زمام الحديث:

- برأيكِ لِمَ أنتِ هُنا؟

وجهت « سارة» عينيها نحو عيني «أسيل» وهي تقول بنبرة تهديد:

- أتيت إلى هنا كي تُخبري أخي بأنني بخير ولست بحاجة إلى طبيبة نفسية تطلي عيادتها باللون الأبيض، هل تظنين بأنني مجنونة؟

تنهدت «أسيل» ولم ترفع عينيها من عليها..

- تعلمين بأنني أُعاني من خطبٍ ما في شخصيتي؟ قد اكتسبتها بمرور الوقت، أشعر بأن الألم شيء يُشعرني بوجودي، أتلذذ به، إن قلت هذا لأحد سيلقبني بالمجنونة لهذا لا أجعل أحدًا يستمع إليّ، تعلمين ماذا أفعل؟

بدأ الفضول يجري في عروق « سارة» فحركت رأسها لتُتابع، نهضت «أسيل» وجلبت المسجل الخاص بها ثم وضعته أمامها وقالت:

- هذا ما أفعله، أقوم بالتسجيل لنفسي، أتحدث عن الأشياء التي تؤرقني ولا أستطيع تخطيها بمفردي، تعلمين بأن الطبيب النفسي لا يمكنه الذهاب لطبيب آخر ليُعالجه، هذه الأشياء لا تحدث في مصر ولا أظن بأنها تحدث في مكان ما على هذه الكرة الأرضية، إن علم أحد ما بأن الطبيب ما هو إلا مريض مثير للشفقة لن يأتي إليه أحد، لن يصبح «طبيبًا» في نظر الناس بل مجرد مُختل.

ابتلعت « سارة» ريقها بصعوبة، ثم قالت مُتسائلة بحذرٍ:

- ما هو مرضكِ؟

- تُريدين مني إخباركِ بمرضي وتلك أول مقابلة لنا؟

تملكتها الشجاعة لسبب لا تعرفه، ربما لأنها شعرت بالأريحية من حديثها أو لأنها استطاعت إخبارها بأسلوب مثير أنها لن تنظر لها على أنها مجنونة، تستطيع إخبارها بكل شيء دون أن تقلق.

- تعرفين بأنني لا أحب ذلك الطلاء الأبيض؟ عندما أغلق هذه العيادة سأفتتح واحدة أخرى وسأقوم بطلائها باللون السماوي، هل تحبينه؟

لم تجد إجابة كافية على وجه «سارة»، فقط وجدت صمت مريب قد شعرت بأنها علمت سببه، ولكنها تأكدت عندما جاءها ردها:

- لا أظن بأنني أحب شيئًا.

ثم أردفت قائلة مكملة حديثها:

- تعلمين؟ أرى بأنني غير صادقة حين ألفظ كلمة «أشعر»، فلا توجد كلمة مثل تلك في قاموسي، حتى أنه لا ينتابني أي شعور، وكأنني لستُ في ذلك المكان، تعلمين ذلك الشيء المسمى بالإسقاط النجمي؟ أن تكون روحكِ منفصلة عن جسدكِ، أشعر بأن روحي في مكان آخر تسبح وحدها، وجسدي هُنا في هذه الأرض اللعينة متشبثًا بها وكأنه لا يستطيع الابتعاد عنها، من المفترض أن أصبح جثة هامدة في إحدى القبور، لا أعرف ما الذي يبقيني في تلك الحياة، قرأت عن مرضي يُسمى وهم كوتار، لا أستطيع التصديق بأنه مُجرد وهم، فأنا فقط من ترى وتشعر بأنها خاوية، هل الفراغ يُعد «شعورًا»؟ أم أنه لا شيء، أي أنه لم يوجد قط، سمعت بأنك تحققين الأمنيات، هل لي بواحدة؟

اندهشت «أسيل» بحديثها المفاجئ، لم يتجرأ أحد على طلب الأمنيات في أول جلسة له مثلما فعلت تلك الفتاة، لم تُخطئ حين قالت بأنها مُذهلة.

- ألا ترغبين في حضور جلساتٍ أخرى؟ أم أنكِ بخيلة لدرجة أنكِ لا تُريدين دفع ثمن جلسة جديدة؟

- لا هذا ولا ذاك، ولكنني لا أعرف ماذا سأقول في الجلسات القادمة، لا أتحمل المزيد من الوقت، أخي يحمل أثقاله وأثقالي، وبدأت أتمنى شيئًا لن أستطيع الوصول إليه، الإقدام على شيء بمفردي مضيعة للوقت، ساعديني من فضلك.

أغلقت «أسيل» التسجيل ثم أعادت تشغيله مرة أخرى، ثم قالت بهدوء: - ماذا تريدين؟

أجابت «سارة» بسرعة وبدون تفكير:

- الموت.. إنه أشد ما أرغب بهِ، في الحقيقة أنا قريبة من الموت ببضع خطوات لكن المشكلة في جسدي الذي ما زال بحاجة إلى الهواء، جربتُ كثيرًا التوقف عن التنفس ولكنني كنتُ أختنق على الرغم من أنني لم أشعر يومًا بتواجد رئة لدي.

أغلقت التسجيل ثم نهضت لتضعه على المكتب، عادت لها مرة أخرى وقالت بجمودٍ تعجبت منه «سارة»، فقد تحولت «أسيل» إلى سيدة أخرى بمجرد ترك جهاز المسجل الخاص بها.

- ستقومين بكل شيء أقوله لكِ؟

- نعم.. سأفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ودعتها «أسيل» بسلامٍ حار وأخبرتها بألا تنسى ما قالته لها، ذهبت «سارة» والقلق يعتريها فلا تظن بأنها ستقدر على فعل ما طلبته منها، جلست «أسيل» على الأريكة وأغمضت عينيها، تُفكر في تلك الفتاة التي ترغب في الموت، ليتها عثرت على طبيب نفسي يفعل مثلها عندما كانت بمثل عمر «سارة»، تتذكر ذلك الوقت بعد وفاة أبيها، ذهبت بها أمها إلى عيادة طبيب نفسي مشهور، وعندما أخبرته عمّا يُخالج نفسها أعطاها مضادات الاكتئاب، الأمر الذي دفع الاكتئاب نحوها بشدة، ولم يكتفِ الأمر بذلك، فقد قام بلمسها عدة لمساتٍ زادت من رغبتها بقطع يديه حينها، لكن لم تتجرأ على فعل ذلك، فصمتت كما تصمت البهائم عندما يضربها إنسي قرر نزع الرحمة من قلبه.

نظرت نحو مكتب الاستقبال فوجدته فارغًا، لا تعرف أين يختفي «قاسم» طوال الوقت، أخرجت هاتفها من ملابسها ثم اتصلت به فلم تجد ردًا، لا تعرف مكان منزله على الرغم من أنه صديق وفي لها، نهضت لتغلق باب العيادة، يعتريها شعور كره غرفتها لليوم، تمددت على الأريكة وذهبت في نوم عميق، نوم لم تستطع التلذذ به منذ ولادتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رأت نفسها وهي نائمة على الأريكة، رفعت يديها لتوجهها نحو عينيها، فرأت يدها تحولت إلى المظهر الأثيري، سارت نحو الجدران ففتحت فمها في دهشة حين رأت نفسها تخترقها!

- « تلك الحياة لم أخترها لنفسي، فقط أود أن أنام طويلًا دون أن توقظني الشمس.»

تتذكر بأنه قائل تلك العبارة، دخلت إلى غرفة الكشف فوجدت نفسها تُغلق التسجيل الخاص بها، تتذكر عندما حدث ذلك، ستقول له الآن: «سنذهب إلى غرفة الألعاب، لم تنتهِ الجلسة بعد.» لكنها صُدمت حين صافحت «رضوان» وأخبرته بألا ينسى ما قالته له وهذا سبيله الوحيد لتحقيق أمنيته، لا تتذكر ما الذي قالته له بشأن هذا الأمر، عبرت «أسيل» الحقيقية من خلال «أسيل» الأثيرية بهدوء، خرجت ورائهما لعلها تذهب به إلى غرفة الألعاب كما تتذكر، ولكنها صُدمت حين ودعت «رضوان» وذهب!

جلست «أسيل» على مكتب الاستقبال ثم تنهدت بعمقٍ وبدأت في البكاء، على أي شيء تبكي يا أسيل؟

لِمَ لا تتذكر كل تلك الأمور؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظت على صوت طرق الباب، وجدت نفسها في العيادة، رفعت يدها اليمنى ببطء لترى لونها، هدأت حين رأت بأنها «أسيل» الحقيقية، كيف فعلت الإسقاط ولم تقم بهِ قبل نومها؟

نفضت تلك الأفكار من رأسها، ربما مجرد حُلم استطاعت فيه رؤية روحها أخيرًا..

- من يطرق الباب؟ العيادة مغلقة الآن!

جاءها صوته، نظرت إلى الساعة فوجدتها العاشرة لكنها لا تعرف هل في المساء أم الصباح، فتحت الباب لهُ، رأت وجهه الذي يسوده القلق والفزع ولكنه هدأ حين رآها، كادت أن تتكلم ولكنه قاطعها وشدها نحوه، للمرة الثالثة يتجرأ على سحبها نحوه، لكن هذه المرة وكزته في بطنه وقالت بحنقٍ:

- هل أنت أحمق؟ لِمَ تطرق باب العيادة على سيدة لم تتزوج بعد؟ ولم تكتفِ بفعلتك فقط بل تعانقها أيضًا!

ظنت بأنه سيبتسم لأنها كانت تمزح، ولكنه أخرج هاتفه ليُريها عدد اتصالات أمها عليه قائلًا بصوتٍ نعس:

- وهل تظنين بأنني أتيتُ لأعانقكِ؟ لِمَ لا تُجيبين على هاتفك؟ كنتِ اختصرتِ عليَّ عناء المجيء إلى هُنا.

شعرت بالإحراج وقالت وهي تخرج هاتفها من ملابسها:

- يبدو بأن الإشارة سيئة في العيادة.

لم تشعر بنفسها سوى وهي في أحضانه مرة أخرى، سحبها نحوه للمرة الرابعة، ولكنه أحكم قبضته عليها حتى لا تذهب بعيدًا..

- أعلمُ بأنكِ تكرهين ذلك، ولكنني كُنت قلقًا.

رسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة، لا تود منه أن يعلم بأنها تبتسم، فماذا سيقول عنها؟ ابتعدت عنه ثم قالت لهُ في جدية:

- أتعلم كيف مات والدي؟

- قمتِ بقتله بالزهيرة التي وضعها لتزيين منزلكم؟

ابتسمت حين تذكرت ذلك الموقف، فقالت موضحة:

- حينها كنت أود النوم حتى لو في الانفرادي، لم أستطع النوم في غرفتي فهو يلاحقني فيها دومًا.

غمز لها وهو يقول بتلاعب:

- ولِمَ لم تخبريني؟

لم تفهم ما يرمي إليه فتساءلت:

- ولماذا أفعل؟

غمز مرة أخرى ثم قال الشيء الذي دفعها إلى صفعه على وجهه، احمرت وجنتيها وقالت بغضبٍ:

- وماذا سأفعل في منزلك؟ هل تظنني ساقطة؟

وضع يديه على خده مصطنعًا الألم:

- ستنامين مع أختي، في ماذا تفكرين؟

عادت وجنتيها للونهم الطبيعي، تتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعه هو هذه المرة، يتلاعب بالكلمات ثم يقوم بإحراجها، جلست على الأريكة ثم جلس بجوارها قائلًا في اهتمامٍ:

- كيف مات؟

صمتت قليلًا لتعرف كيف ستقص عليه الأمر، تتذكر ما حدث وكأنه حدث بالأمس.

- لا أعرف هل كنت تعلم أم لا، ولكن علاقتي مع أبي لم تكن كعلاقة الآباء مع بناتهن، لن أخبرك كيف، سأشعر بالإحراج منك ولن أستطيع وضع عيني في عينيك، أشعرُ بالخوف من مجرد ذكره في الحديث، ولكنني أرغب بأن يمر

الأمر دون أن يستمر في المجيء إلى أحلامي، وأظن بأنه سينتهي عندما أتحدث عنهُ، أبي لم يمت بل قُتل، حاولت أمي والشرطة إقناعي بأنني لم أفعل وبأنها كانت صدفة فحسب ولكن الشعور بالذنب بقي يلازمني، حتى وهو سيء وحتى وأنا لا أحمل له في قلبي سوى كل الكره، أشعر بالذنب، ربما كان سيتغير، ربما كان سيتأسف على معاملته لي بتلك الطريقة الفظة.

بلعت ريقها بصعوبة ثم أردفت مكملة حديثها، نظرت أمامها كما لو أنه يحدث في تلك اللحظة:

- كان يحاول ضربي، دائمًا كنت أستسلم لهُ، أشعر وهو ممسك بي بأنني نملة لا تقوى على التصدي لشخصٍ عملاق مثله، ولكنني هذه المرة استطعت أخذ الحزام منهُ، نظر إليَّ بغضبٍ ثم اقترب مني فهددته بأنه إن اقترب أكثر سأضربه مثلما يفعل بي، ضحك حينها باستهزاءٍ مني، عرفت ما الذي كان يرغب في قوله:

«فتاة ضعيفة مثلكِ تتصدى لي أنا؟»

عندما صفعت الحزام على جسده وضع يديه على قلبه ثم سقط أرضًا، أعلم بأنك قد تقول بأنها صدفة مثيرة للضحك وبأنني محظوظة مثلًا، ولكن هذا ليس حقيقي، فأنا لم أكن محظوظة يومًا.

اقترب منها حتى التصق فيها، وقال وهو يحاوطها بذراعيه:

- سكتة قلبية؟

أبعدت يديه عنها ووضعت مسافة بينهم كافية ألا تجعله يقترب منها مرة أخرى ثم ابتسمت بسذاجة:

- أحسنت، حسّك الشرطي يعمل جيدًا.

نهض من على الأريكة ثم تحرك أمامها كمن يُفكر في شيء يؤرقه..

- ما الذي تفكر فيه؟

توقف عن الحركة ونظر لها نظرة شكٍ:

- أُفكر، كيف لسيدة جميلة مثلكِ تلقيب نفسها بالقاتلة لمجرد أنها جعلت حزامًا يلامس جلد رجل؟

شعرت بأنه قد كشف أمرها، لكنها استمرت في مواصلة ما تفعله.

- وما المانع برأيك؟

عاد للجلوس بجانبها مرة أخرى، ثم قال بهمسٍ تعجبت منه فلا يوجد أحد آخر في العيادة سواهما:

- كفى شعورًا بالذنب يا «أسيل»! أخشى إن صدمت إصبع قدمي الصغير في إحدى جدران عيادتك ستقولين بأنكِ السبب!

كادت أن تتحدث لكن قطع حديثهما صوت ارتطام شيء دوى في أنحاء العيادة، نظرت له لتجد بأن ملامحه لم تتغير، فتساءلت بخوفٍ:

- هل سمعت شيئًا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حاولت الاتصال به عدة مرات ولكنه لم يكن يجيب، لا تعرف لِمَ اختفى كل هذه المدة، وما الذي يفعله طالما أنه لا يأتي إلى العيادة، تذكرت حين زارها شقيق «رضوان»، لكن لم يكن تصرفها حادًا معه للدرجة التي تدفعه إلى ترك العمل!

استيقظ «جمال» الذي كان نائمًا على الأرض، قال بصوته الناعس:

- تعرفين بأنه أجمل صباح بالنسبة إليَّ؟

- ولِمَ يا ظريف؟

ضربها على جبهتها ضربة خفيفة لكنها أصدرت صوت أنين مما دفعه للاستغراب.

- أنتِ بخير؟

أشارت إليه بيديها ألا يأبه، لا تتحمل تلك اللمسات بسيطة فجسدها لم يتعافَ بعد، عادت للنوم على الأريكة مرة أخرى بعدما فشلت محاولاتها في الاتصال بهِ، ثم وجهت حديثها نحو « جمال» مُتسائلة:

- هل تعرف «قاسم»؟

- هل هو حبيبك؟

وكزته في جنبيه ثم أردفت:

- لقد قابلته عدة مرات، إنه يعمل هنا على مكتب الاستقبال.

نظر لها مطولًا، لم تصلها إجابة فشعرت بالقلق..

- هل سبق ووظفتِ أحدًا هُنا أصلًا يا «أسيل»؟

- لا تكترث..

وضعت الوسادة على رأسها وذهبت في نومٍ عميق، لا تود أن يقتلها تفكيرها لليوم أيضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجلس بجوار شرفتها كما اعتادت، ألقت الصباح على أخيها فقبَّل جبينها، وضع أمامها الطعام ثم أخبرها بأن تأكل جيدًا، يشعر بأنها أصبحت بخيرٍ، في البداية كان يظن بأنها تصطنع حديثها معه، لكن الآن تأكد بأن تلك الطبيبة ماهرة في عملها، استطاعت تحويل «سارة» التي لا تأبه بأي حديثٍ إلى «سارة» التي تُلقي عليه الصباح، انتظرته ليذهب إلى عمله ثم نهضت وهي ممسكة بصحن الطعام وقامت بإلقائه في سلة المهملات، لقد نجحت في جعله يصدقها، استطاعت فعل الصعب، بقيَّ المستحيل، كيف ستقنعه بأنها لن تذهب إلى « أسيل» مرة أخرى؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتحت عينيها ببطء لتجد أبشع كابوس قد تراه وهي مستيقظة، رأت والدتها تقف أمامها و«جمال» يجلس على ركبتيه خلفها، يُشير إليها بيديه بأنه لم يقصد.

نظرت بلامبالاة نحو والدتها وقالت:

- ما الأمر؟ لِمَ تنظرين إليَّ بهذا الشكل؟

قامت والدتها بالإمساك بأذنها اليمنى وبدأت في شدها، انتفض جسد «أسيل» ولم تتذكر كيف تتنفس فكادت تختنق، بدأت في ضرب يد أمها لكي تبتعد عنها ثم قالت وهي تُكافح أنفاسها:

- ماذا تريدين مني؟

نظرت أمها إلى «جمال» الذي يجلس على ركبتيه شاعرًا بالأسف وقالت:

- لقد أخبرني بشأن القضية التي رفعتها عليكِ خالة «رضوان»، هل تقومين بعلاج الناس أم قتلهم؟

أمسكت بيد أمها ووضعتها على أذنها وقالت:

- قومي بشد أذني مرة أخرى، هذا أفضل من حديثك الذي لا أطيقه.

نظرت خلف أمها فلم تجدهُ، ذلك الجبان، جلست أمها بجانبها ثم قالت بشيء من الأسف:

- أنا آسفة لأنني كُنت أصرخ عليكِ.

ثم أردفت مكملة حديثها:

- وآسفة لأنني لم أستطع الطلاق من أبيكِ.

تجمعت الدموع في عينيها وهي تقول:

- وآسفة.. لأنني لم أساعدكِ عندما كنتِ صغيرة في تلقي العلاج المناسب، كان الذهاب إلى ذلك الطبيب الدنيء خطئي..

نهضت «أسيل» لتقول بلامبالاة:

- لا بأس.

أخرجت مفاتيح العيادة من جيبها ثم وضعتها بجانبها وقالت قبل أن تهم بالخروج:

- أغلقي العيادة خلفكِ ففئراني لا يحبون القطط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

« أسيل...»

هذه أنا مرة أخرى، اليوم لن أتحدث عن نفسي، سأتحدث عمَّا يحدث حولي، منذ ساعات سمعت ارتطام شيء آتٍ من غرفة الألعاب خاصتي، لكن الغريب هو أن «جمال» لم يسمع شيئًا، سألته إذا كان سمع صوت ارتطام من قبل ولكنه أخبرني بأنه لم يفعل، حتى أن الحديث الذي أتذكره حول كذبي بشأن الفئران قد نفاه تمامًا وكأنه لم يحدث قط سوى في خيالي، هذا حدث أيضًا مع «رضوان»، أتذكر بأنني أخبرته بأن الجلسة لم تنتهِ بعد، لكنني رأيتهُ ينصرف من العيادة أثناء خروج روحي من جسدي، بمناسبة أمرِ الإسقاط النجمي، فأنا لا أعرف كيف حدث، فقط أجد نفسي أفعله دون أن أُفكر فيه، لكنني أصدق كل ما أراه فيه، أشعر بأنني مريضة وهم مثل «رضوان»، لقد بدأت في أخذ عقار «بروزاك» الذي يقلل من الاندفاعات النفسية السلبية، على الرغم من أني لا أومن بأن الإصابات النفسية يمكن علاجها بتدخل الكيمياء، ولكن بما أنه ليس لدي طبيب ولا يمكنني أن أصبح طبيب نفسي أفعل شيئًا لن أجبر مرضاي على فعله.

لا تظن بأنني عُدت أتحدث عن نفسي مرة أخرى، أخبرك بأنني أحاول التعافي لأنني أريد ذلك، أعلم بأن هُناك أشياء كثيرة رأيتها ولمستها وكانت مجرد وهم مني، على الرغم من أني ما زلت لا أصدق بأنها كذلك، لكنني أحاول ألا أترك الشعور بالذنب ينالُ مني.

كل ما أعلمه الآن هو أنني لم أكُن سببًا في قتل «رضوان»، لا أعرف ما الذي سأكتشفه عني فيما بعد، أحاول فهم نفسي أيضًا، لن أترك الحياة تعصف بي كما تشاء، إن لم يرغب الموت في الاقتراب مني سأصنع منه نسيمي الخاص.

أودُ التحدث عن شيء صغير جدًا يُصيبُني بالحنق، لِمَ عندما يعتذر شخص ما يجب علينا تقبل ذاك الاعتذار؟ حتى أنني لا أستطيع التوصل إلى فائدة «الاعتذار» بعد ارتكاب الجريمة، عندما اعتذرت لي أمي وجدتُ بأنه سيكون من الصعب عليّ أن أجادل معها، أن أقول: « لماذا الآن؟»، «لماذا لم تعتذري لأنكِ أنجبتني إلى تلك الحياة ثم تقتليني ببساطة تكفيرًا عن ذنبكِ؟»، أو.. «ما الذنب الذي اقترفته أنا لتقوموا بتلويث عقلي في سنٍ صغير؟ «

رغبتُ في قول الكثير من الأشياء لها، ولكنني اكتفيتُ ب- «لا بأس»، فلم أجد فائدة لذاك الاعتذار، سأعاني أنا مع مرضي اللعين وستعود هي إلى المنزل مرتاحة البال لأنها «اعتذرت»!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد مرور أسبوع

- هل هناك أحد ما في تلك العيادة؟

خرجت «أسيل» من غرفة الكشف لترى «سارة» أمامها، ابتسمت لها بينما « سارة» لم تقابلها بمثل تلك الابتسامة.

- ما بكِ؟ ألم تفعلي ما قلته لكِ؟

لم ترد عليها، دخلت إلى غرفة الكشف وتمددت على الأريكة، وضعت يد فوق الأخرى وهي تقول بصوتٍ خالٍ من المشاعر:

- لا تعلمين كم أُرهقت هذا الأسبوع، كان مطلوب مني إلقاء الصباح عليه كل يوم، لِمَ ضريبة الموت غالية بهذا الشكل؟

ابتسمت «أسيل» ثم قالت بأسفٍ:

- متأكدة بأنكِ لن تشعري بأي ألمٍ؟

نظرت لها «سارة» لتُظهر لها ملامحها الحادة.

- قلت لكِ لا تقلقي، أنا فعلًا لا أشعر بأي شيء، قومي بدس مخدركِ في دمي إن كنتِ لا تُصدقين، أنا لا أعرف ما هو معنى الألم..

أومأت لها «أسيل» برأسها لتثبت لها بأنها تفهمها، ثم قالت قبل أن تنهض بها إلى الغرفة التي حكت لها عنها مسبقًا.

- ألا ترغبين بسؤالي عن أي شيء؟

- لدي فضول نحو شيء واحد.

ثم أردفت «سارة» مُتسائلة:

- ألا تمتلكين أمنية؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خرجت من غرفة الألعاب لتجدهما يقفان أمامها، كانت تشك بأمر ذلك السيد المزيف الذي ينتحل شخصية «ستيڤن»، بحثت مسبقًا عنه على وسائل التواصل الاجتماعي ووجدت ما كانت تشك بهِ، سيد «ستيڤن» المزيف لم يقم بعملية تجميل بل قام بعملية احتيال عليها..

أشارت لهما بأن يدخلا غرفة الكشف، دخلت خلفهما فوجدت السيد المزيف يتساءل عن تلك الغرفة التي خرجت منها توًا، فأخبرته بألا يتدخل فيما لا يعنيه، ترددت كثيرًا في تلقيبه بالسيد المزيف ولكنها قررت الاكتفاء برمي بعض الكلمات التي تجعله يعلم معرفتها بشأن كذبته، شعرت «أسيل» بأن حرارته ترتفع، نظرت إلى «ر» لتلحظ بأنه شعر بنفس الشيء، أخبرها باسمه الحقيقي، يُدعى «هارلان»، قصَّ عليها أمورًا لم تكن تعلمها بشأن الحياة خارج مصر، رغبت في الابتسام حين أنهى قصته لكنها اكتفت بالنظر له بجمودٍ، تركت خوفها جانبًا فأمنيتها أخيرًا تتحقق وقالت:

- لدي في الداخل جثة فتاة بالية، تريد أن تتذوق؟

تعلم بأن «سارة» الآن تُشبه الجثة، لقد أعطتها مخدر قوي فلن تستطيع الشعور بأي شيء، هذا إن لم تتوقف نبضات قلبها لأنها تظن بأنها قامت بإعطائها جرعة كبيرة منه، إن لم تمت فعلًا فستكون أسنانه بالنسبة لها كوخزة إبرة، وافق على الفور، وجدته يذهب إلى الغرفة دون أن ترشده إليها، وما هي إلا سويعات حتى وجدته يهجم عليها ويمزقها، دخل صديقه «ر» ودُهش عندما رآه يلتهم لحم «سارة» فيبدو بأن تلك هي مرته الأولى لرؤية شيء كهذا، كان «هارلان» يأكل لحمها بتلذذ ظهر جليًا عليه، كان يأكل جزءًا ثم يشرب المياه التي وضعتها له، تعجبت من سرعته في الالتهام فما هي إلا دقائق حتى أصبحت الجثة أمامها عظمًا، حتى الأحشاء لم يتركها لحال سبيلها!

التفت لها وهو يمسح فمه من آثار الدماء ثم شكرها على هذه الوجبة الطازجة، لم ترد عليه، لقد جعلته يلتهم توًا أفضل فتاة قابلتها في حياتها، لا تعرفُ كيف ستتخطى هذا الشعور الأحمق!

قاطع تفكيرها مُتسائلًا:

- مين أين أتيتِ بهذه الجثة؟

رمقته بنظرات لا مبالية ولم تعطه إجابة، ثم أردف موضحًا:

- لا يهمني من أين أتت، لِمَ قُتلت فقط؟

التفتت إلى العظام ناظرة لها بشرودٍ وهي تقول:

- لأنها تمنت.

وجدت على ملامحه علامات عدم الفهم، تمنت ألا يسألها عن شيء آخر فما توده هو ذهابهم كي تتخلص من تلك العظام وبركة الدماء التي تكونت على الأرض، ساعدتهم في الخروج من العيادة ثم أغلقتها بالمفتاح، عادت إلى الغرفة لتُخرج زُجاجة سوداء لا تعلم من أين أتت إلى تلك الغرفة، وحاولت وضع بعض من الدماء فيها، بعدما انتهت قامت بوضعها في الثلاجة، ارتدت القفازات الخاصة بها وقامت بحمل العظام إلى الحمام، حيث وضعت الكثير من حمض الهيدروفلوريك ثم وضعت العظام بحذر ثم أغلقت الحمام وراءها، ستنتظر عدة أيام حتى تذوب تلك العظام..

عادت إلى غرفة الألعاب مرة أخرى وبدأت في تنظيف الآثار، تحولت إلى قاتلة مثيرة للشفقة، لم يكتشف «هارلان» بأن «سارة» حيّة، لم تستطع ملاحظة هل تتنفس أم لا ولكن تتمنى أن تكون قد ماتت قبل التهامها، لم يكن يومًا حلمها أن تصير هكذا.. ولكن الأمور باءت مختلفة كثيرًا منذ بدأت إدراك حقيقتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- لا أرغب بالذهاب إلى تلك الطبيبة يا أخي.

نظر لها بتعجبٍ ظهر جليًا على وجهه وهو يقول:

- لماذا؟ هل فعلت لكِ شيئًا سيئًا؟

- لا.. لم تفعل، ولكنني أشعر بأنني أتحسن بمفردي.

رمقها بنظرة شكٍ، لكنها فاجأته حين قامت باحتضانه، هذا الشيء لا تفعله «سارة» وإن قام أحدهم بإعلان أن الأرض ستُدك بعد لحظاتٍ، ابتسم وبادلها العناق، ثم قال:

- لا بأس بعدم ذهابكِ إن كنتِ تظنين بأنكِ بخير، سأتصل عليها وألغي حجزك للجلسة القادمة.

ابتسمت له وشكرته على حسن رعايته لها طوال تلك السنين وبمجرد أن ذهب من أمامها عادت ملامحها الحازمة مرة أخرى، تلك التصرفات الطفولية لا تليق بها، حتى وإن كانت ممتنة لأخيها على محاولاته لأجلها، ولكنها لا تشعر بأي شيء تقوم بهِ، تحمل الفراغ داخلها أينما ذهبت، بدأت في قضم أظافرها، واحدًا تلو الآخر، تتأكد بأن يدها ما زالت موجودة، بدأت بالشعور بأنها تختفي، قرأت عن تلك السيدة التي كانت تحمل نفس مرضها، ظلت أسابيع لا تأكل

ظنًا منها بأنها لا تمتلك معدة تحمل فيها الطعام، تخشى أن تُصبح مثلها وأن تقودها نفسها إلى فعل أشياء لن تتحملها، ترى بأن التهامها من قبل آكل لحوم بشر أفضل بكثير من الاستمرار في تلك الحياة وتجربة الشعور بالألم يوميًا.

عقدت اتفاقًا بسيطًا مع «أسيل»، أن تُساعدها في قتلها بالطريقة التي تجدها مناسبة، وفي المقابل تخبر أخاها بأنها لا تريد الذهاب إلى طبيبة نفسية بعد الآن وبأنها تشعر بالتحسن مع إثبات ذلك لمدة أسبوع كامل، لا تعرف لماذا فعلت «أسيل» ذلك بها، ولكنها ممتنة لأنها ستلتقي بروحها قريبًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا تحب تلك الزيارات ولكنها أيضًا لا تُحب رفض المساعدات النفسية، لهذا قامت باختيار تخصص الطب النفسي، لم تدرسه لنفسها فقط، فتح العيادة في «يوم الجمعة» كان أسوأ شيئًا قامت بفعله، تحب ذلك اليوم على خلاف بقية الأيام لأنها لا تضطر إلى ترك سريرها ومواجهة العالم، ولكنها اليوم فعلت الشيء الوحيد الذي لم تكن تريد فعله، دلفت فتاة الصقيع كما أخبرتها في الهاتف ومعها شابان ملامح أحدهما كورية والآخر يبدو عليه العرق الأجنبي الذي لا تجده سوى في حواري محافظة «المنصورة»، بعدما عرفتها عليهم تركتهم وذهبت، كانت تنوي سؤالها عن اسمها قبل ذهابها ولكن قطع تفكيرها «إيقان» ذاك الشاب الأجنبي وهو يسألها بخصوص طريقة تعاملها مع مرضاها، شعرت بالسخافة عندما تحدث «هيون وو» عن العقاقير، الجميع يظن بأنها تجلب مفعولًا مع المرضى، لا تصدق هذه السخافات مهما قرأت كتبًا عن الكيمياء وجسد الإنسان، ربما تساعد ولكن لا تُعالج..

قطع حديثهما صوت «هارلان» ذاك الفتى الكاذب حين قال بمرحٍ:

- أسمع عن دماء هنا، هل تصنعون من مرضاكم نبيذًا؟

التفت «أسيل» إليه، لم تظنه سيمزح بشأن مرضه أمام أناس قابلهم لأول مرة، نظرت إلى «إيقان» ثم إلى «هيون وو» فلم تجد سوى الأريحية على وجوههم، ابتسمت حين رأتهم يلقون النكات على أشياء إن عرفها الناس سيردمونهم في ساحة مغلقة.

تذكر «هيون وو» الكلمات التي سقطت من على شفتيه بسبب تدخل «هارلان» فنظر إلى أسيل بفضولٍ وتساءل:

- ماذا تقصدين بتحقيق الأمنيات؟

تنهدت «أسيل» حين تذكرت «سارة» التي التهمها «هارلان» بلا رحمة، ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي تنظر إلى «هارلان»:

- عندما يتفوه المريض بشيء أقوم بتحقيقه له.

ثم أردفت مكملة حديثها وهي تنظر لهم جميعًا:

- فمثلًا إن أراد الموت، أحضرت له الموت.

فهم «هارلان» ما ترمي إليه، كاد أن يتحدث ولكن قاطعه «إيڤان» موجهًا حديثه ل- «أسيل»:

- كيف تُلقبين نفسكِ بطبيبة نفسية وأنتِ تقودين الناس إلى الموت؟

تعجبا حين وضعت يديها على فمها تكتم ضحكتها، لم تستطع تمالك نفسها، لم يوجه لها أحد من قبل ذلك الاتهام الحاد.

توقفت عن الضحك ثم قالت وهي تحاول التقاط أنفاسها:

- دعني أسألك ما هو مفهومك عن الطب النفسي؟

أجابها «إيڤان» بجمودٍ:

- طب يدرس سلوك ونفسية الإنسان والعوامل المؤثرة عليه.

أومأت برأسها بالموافقة، ثم أردفت تكمل حديثها بهدوء:

- ولهذا أنا أهتم جدًا بما يريده الإنسان، لِمَ سأُجبر أحدًا على العلاج وهو لا يُريد؟ ألا تراه تعذيب لا إصلاح؟ إن رغب الإنسان في الموت فذلك لأنه لا يأبه بتلك الحياة، إذًا لماذا سأجبره على حب شيء لم يفكر يومًا في حبه؟ لدي نماذج لمرضى كانوا يريدون الحياة ولهذا أتوا إليَّ، فجلبت لهم الحياة.

ثم صمتت، تذكرت «رضوان» ومن هم مثله، ثم قالت بأسفٍ:

- ومرضى لم يستطيعوا التفكير سوى في الموت، فجلبتُه لهم.. هل أنا مُخطئة؟

كاد أن يُجيب «هارلان» لكنها أوقفته قائلة:

- هل يمكنك القدوم معي لدقائق؟ أود إعطائك شيئًا

توجهت نحو الممر وذهب وراءها، ظن بأنها ستُعطيه وجبة أخرى، لكنها اكتفت بفتح الثلاجة وإخراج زجاجة سوداء منها، ثم قالت وهي تعطيها إياه:

- هذه هدية لك، لا أعرف ماذا أفعل بها..

فتحها وقام بشمها، يحفظ تلك الرائحة عن ظهر قلب..

كانت تظن بأن الحزم هو ما يظهر فقط على وجهه ولكن ملامحه ارتسمت مرة أخرى ليستكمل مزاحه السابق:

- يبدو بأنكِ تصنعين من مرضاكِ نبيذًا فعلًا! أنتِ مدهشة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف «جمال» إلى العيادة دون سابق إنذار، لا تعرفُ لِمَ قد وقف الجميع فجأة، ولكنها فهمت عندما نظرت إلى ملابسه، لأول مرة يزورها وهو يرتدي الملابس الرسمية..

- هل أنتِ مشغولة؟

ابتسمت له ثم قالت مُداعبة:

- هل تودني؟

نظر للجالسين ثم أعاد نظره إليها، لم يستطع إخفاء ملامحه الحازمة، قال بهدوء:

- هل يمكنكِ المجيء معي؟ هذا ضروري.

نظرت في عينيه فعلمت بأن هُناك خطبًا ما، رمقتهم بهدوء ثم قالت وهي تذهب خلفه:

- هل يمكنكم الانتظار قليلًا إلى حين عودتي؟

سارت خلفه وهي لا تعلم إلى أين يذهبان، توقف في مكانٍ لا يوجد بهِ أحد ولم تزُره من قبل.

- لِمَ مرضاكِ بالذات؟

انتظرته كي يُتابع حديثه كي تفهم عن ماذا يتحدث فأردف قائلًا:

- لِمَ يختفون؟

حاولت ألا تُظهر القلق على ملامحها، فحافظت على هدوئها وهي تقول:

- تقصد «رضوان»؟

- و«سارة»؟

استطاعت رسم علامات الدهشة على ملامحها وكأنها لا تعرف ما الذي يتحدث عنهُ.

- اتصل بي أخوها وأخبرني بأنها لن تُكمل جلساتها لأنها تشعر بأنها بخير، ما الأمر الآن؟

أمسك يديها وهو يُعنفها بحديثهُ:

- إنه يشك بكِ!! هل ترغبين في دخول السجن حقًا؟

- لا أفهم!

تنهد ثم قال:

- لقد جاء إليَّ اليوم ليُبلغ عن اختفاء شقيقته وقال بأنكِ مُشتبهة، كان تغيرها منذ رأتكِ غريبًا بالنسبة إليه لكنه كان يظن بأنها قد تعافت تمامًا، عندما عاد إلى المنزل في يوم جلستها لم يجدها فيه.

أبعدت يديه عنها ثم قالت ببرود:

- ألم يُخبرك بأنه قد زارني؟ وجعلته يفتش العيادة ولم يجدها ثم تأسف ورحل! لا أعرفُ كيف يمكن لأحدٍ رفع بلاغ دون أدلة؟ هل أوراق البلاغات لديكم مجانية؟

إن كانت كذلك فأنا أود رفع بلاغ أيضًا على خالة «رضوان» وشقيق «سارة» لأنهم يقومون بتشويه سمعتي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت إلى العيادة فوجدتها فارغة، يبدو بأنهم قد رحلوا، نظرت إلى الساعة فوجدت بأنهم مُحقون في رحيلهم، فقد امتدت هذه ال « قليلًا» لفترة أطول من المعتاد، جلست على مكتب الاستقبال، تذكرت «قاسم» مرة أخرى فأخرجت هاتفها وبدأت في الاتصال بهِ حتى أجاب عليها أخيرًا!

- أين أنتَ؟

جاءها صوت أنثى قائلة بتعجبٍ:

- من أنتِ؟

- هل هذا رقم «قاسم»؟

جاءها الرد الذي وقع عليها كوقع الصاعقة، أغلقت المكالمة وهي تنظر حولها برعبٍ، لم تكن تظن بأن هذه الأمور تحدث، كيف له أن يحدث؟ لم تبعد عينيها عن الممر المظلم، أصبحت تهذي هي أيضًا، لم ترغب في أن تُعاقب بهذا الشكل..

كلما تذكرت جملتها:

«صاحب هذا الرقم توفى منذ عامٍ، ولكنني قمت بامتلاك الرقم من والدته..» رغبت في وضع نفسها في حوض حمض الهيدروفلوريك بجانب عظام

«سارة»، كادت أن تهم بالخروج ولكنها عادت أدراجها مرة أخرى، لا تعرف كيف لم تلاحظ ذلك الشيء المُغلف باللون القرمزي، فتحته لتجده مصباحًا جديدًا، أخذته وقامت بالركض لتغادر العيادة بسرعة، أغلقتها وقامت بكسر المفتاح بسهولة لأنه كان قديمًا، لا ترغب في العودة إليها مرة أخرى، لقد انتهت قصتها مع تلك العيادة، رأت بها كل شيء يمكنه جعل الإنسان فريسة سهلة لمخاوفه، بداية من حرق مصباح عيادتها إلى عثورها على مصباحٍ جديد من العدم، وكأن بابا نويل قد سمعها حقًا، إلى رؤية الأموات، انتقالًا إلى تحرير روحين من تلك الأرض البائسة ثم مساعدة أُناس تعلم مكنونهم ولا يختلفُ كثيرًا إذا كان خيرًا أم شرًا ففي النهاية جميعهم يقومون برمي ضحاياهم في القبور المظلمة.

وصولًا إلى رؤية أبيها بعد انقطاع سنين طويلة، ظهور الكدمات فجأة على جسدها، والجروح التي ما زالت تُزين قدميها حتى الآن، كل هذا يدفعها لترك العيادة والمبنى، والذهاب بعيدًا حيثُ تستطيع البدء من جديد، في مكانٍ لا أحد يعرفها سواها، حيث لا يجدها والدها ولا تستيقظ على صوت أمها الذي يجعلها ثائرة، لا تعرف إذا كانت ستصبح حياتها أفضل أم لا، ولكنها تتمنى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هل تظن بأنها مسؤولة عن هذه الاختفاءات؟

- لا يا سيدي، لأنه تم العثور على جثة «رضوان» في منزله، ربما سنعثر على جثة «سارة» بنفس الطريقة.

- إذًا أسقط عنها تلك التهم، لا دليل لا جريمة.

نهض جمال وأشار له بالتحية العسكرية، ثم خرج من المكتب وهو يضع يديه على قلبه، إن حدث لها مكروه فلا يعلم ما الذي سيفعله، يحاول إبعاد الشبهات عنها وهي لا تفهم ذلك، كل ما تفهمه هو أنهم يحاولون تشويه سمعتها، لا تدري إن قيل بأن «أسيل» هي من تختطف مرضاها ستصبح حديث الاسكندرية كلها وفوق هذا إن دخلت إلى السجن ستتمنى لو أنها لم تولد.

حاول الاتصال بها لكنها لم تجِبه في المرة الأولى، ثم أجابت بصوتها الهادئ عندما كرر الاتصال مرة أخرى:

- لِمَ لا تتركني الشرطة أحيا بسلامٍ؟

وضع الهاتف بعيدا عنه لثوانٍ حتى يستطيع الضحك دون سماعه، قرّبه منه مرة أخرى ثم قال بحزمٍ:

- هلِ لديكِ أدلةٍ على براءتكِ؟

لم يأتِه الرد، فأردف قائلًا:

- لا يوجد شيء، لا أحد يشك بكِ.

تنفست بعمق ثم قالت وهي تستعمل براعتها في الكذب:

- اسمع يا «جمال» تعلم بأنني لم أكن أعرف أين كان يختفي «رضوان» وهذا قد أُثبت في التشريح الجثماني بأنه لم يمت باستخدام الكيماويات حتى، هل سأتفق مع نوبة الهلع لتأتي له في هذا الوقت؟ هذا جنوني تمامًا.

ثم أردفت:

- أما بالنسبة إلى «سارة» فهي فتاة رائعة، لا أعرف إلى أين ذهبت ولكنني التقيتُ بها مرة وسأقوم بإرسال لك التسجيلات في ملف صوتي، ثم اتصل بي شقيقها وأخبرني بأنه يرغب في إلغاء تلك الجلسات، ما هو الخطأ الذي فعلت؟ لِمَ لا تشك بأخيها!

صمتت قليلًا لا تعرف هل تخبره أم لا، ولكنها استجمعت شجاعتها وقالت:

- لقد أغلقت العيادة، وسأسافر قريبًا.

- ماذا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أسيل..»»

أعلم بأن هذا جنوني ولكن ما الذي فعلته وكان طبيعيًا؟ أغلقت العيادة دون أن أنظفها من بقايا الحمض الذي في الحمام وبعض التسجيلات نسيت أخذها من مكتبي، ولكنني أعلم بأنه لن يقرر أحد فجأة شراء عيادة لطبيبة يقول الناس عنها بأنها صديقة العفاريت، إن لم يخشَ من شكل الدور الثاني فبالتأكيد سيخشى من السمعة الملحقة حول المكان، قررت ألا يُصبح عالمي مظلمًا بعد الآن، سأفعل كل ما أوده ولن أخشى كلام الناس، نظراتهم، واستحقارهم، سأندمج بينهم وكأنني شخص طبيعي، فتاة تود العيش في سلام تحب صنع النبيذ الأحمر من الحين للآخر وإهدائه إلى الرجل الذي نال إعجابها إن رأته مرة أخرى، أما بالنسبة ل- «جمال» فلا أعرف ما الذي سأقوله له فأنا لا أشعر بشيء تجاهه، كانت مجرد محاولة في جعله أقرب مني لأنني أعرف بأنه سيساعدني، لديه قلبه أولًا ثم العالم، حتى وإن كان هذا العالم هو عمله..

إن أخذ من وقته دقائق ليفتش العيادة سيجد بقية عظام «سارة» لم يأكلها الحمض بعد، ولكنني أعلم بأنه لن يفعل، حتى وإن كنت أنا المجرمة في نظره

سيأخذني ويضعني في منزله ويأمرني بألا أذهب إلى الخارج، « جمال» شخص نقي ولديه قلب عاطفي إن نفد الحب في العالم لن ينفد فيه.

ولكنني فتاة سيئة، لا أستطيع فعل شيء سوى الكذب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خرجت من غرفتها لتجد أمها جالسة على الكرسي ممسكة بكوب القهوة وهي تتابع مشهدها المفضل، جلست بجوارها وأصدرت صوت حمحمة ثم قالت:

- سأستقل.

نظرت لها ثم قالت بعدم فهم:

- تستقيلين؟

أومأت رأسها نافية ثم أعادت الكلمة مرة أخرى:

- أرغب في الاستقلال عن هُنا.

- إلى أين ستذهبين؟ والعيادة؟

نظرت «أسيل» إلى الأرض ثم أجابت:

- لا أريد إخبارِكِ، سأتصل بكِ وأنا هُناك، بالنسبة للعيادة فقد أغلقتها.

- أنتِ واثقة بشأن هذا القرار؟

ابتسمت ثم قالت بهدوء:

- أنا لا أثق سوى فيه، أين هي «ليلى»؟

- في غرفتها كعادتها.

همت بالنهوض واتجهت نحو غرفتها، منذ انتقلوا إلى هذه الشقة وهي لم ترها قط، كما أن الحالة الوحيدة التي تراها فيها هي عندما تعود إلى البيت لتجد «ليلى» تدلف إلي غرفتها، تستطيع رؤية شعرها الكستنائي وملابسها المنمقة، على الرغم من أنها أختها ولكنها لا تعرف شيئًا عنها، فهي بالنسبة لها تشبه المستأجرة الدخيلة على البيت.

طرقت الباب فلم تُجِب، عادت إلى الطرق مرة أخرى فوجدتها تفتح الباب وهي تتثاوب، لم تصدق «أسيل» بأنها تقف أمام أختها بعد كل هذا الوقت، ما زالت تبغضها ولكنها لا تستطيع الذهاب دون الحديث معها.

- ما الذي أحضركِ إلى هُنا؟ هل أخطأتِ في الغرفة؟

لقد تدربت على ردود أفعالها، تستطيع الابتسام حتى وإن لم تكن تشعر بأنها ترغب في ذلك، أجابت «أسيل» بدورها.

- هل يمكننا التحدث؟

ظهرت الصدمة على وجه ليلى ولكنها لم ترغب في الامتناع عن الحديث بينهما فوافقت ودلفت أسيل إلى داخل غرفتها، لأول مرة ترى تلك الغرفة، لم تكن تعرف بأن أختها لديها حس مذهل في التصميم والرسم، قامت بتعليق العديد من الصور التي قامت بالتقاطها وبجانبها الصور التي رسمتها، قالت ليلى عندما رأت أسيل منبهرة:

- كنتِ تظنين بأنكِ وحدك مَن تعمل؟ أنا أقوم بجني الأموال من موهبتي.

عادت أسيل تبتسم لها ثم قالت بهدوء:

- أعلم بأنه بيننا الكثير من الخلافات، ولكن ألا تظنين بأننا نكبر في العمر وهذا يصبح دون جدوى؟

لم ترد ليلى عليها، اكتفت بالنظر في عينيها بشرود، ثم أردفت أسيل:

- أعلم بأنني مَن يتجنبكِ وبدوركِ فعلتِ هذا.

تحدثت حين علمت بأنها صادقة في حديثها، وبأنها تقول الحقيقة حتى وإن كانت لا تعرف أسبابها:

- ماذا تريدين أن نفعل؟ أنا لا أفهم لِمَ كنتِ تتجنبيني كل هذا الوقت، وإن كان ذلك بدأ منذ كنا صغارًا فأنا لست المُلامة على الأشياء التي حدثت معكِ مثلما كنتِ تظنين، كنت أحاول مع أبي وأخبره بألا يقوم بضربكِ.. كنت أحاول..

تطلعت أسيل إلى الغرفة، بدأت في البحث ما بين الصور، صدمت حين وجدت صورة لها وهي صغيرة قامت ليلى برسمها لها.

- لِمَ؟

نظرت ليلى إلى الصورة وقالت بشجنٍ ظهر جليًا على صوتها:

- لأنني لم أكرهكِ يومًا ولا أعرف لِمَ كرهتِني!

جلست أسيل على السرير ثم قالت بشرود:

- أنا لم أفعل، حاولت ولكنني لم أكرهكِ، كنت أغار منكِ فقط حتى ظننت بأنني لم أعد أطيق وجودك، لِمَ يرى بأنكِ ابنته وأنا لا؟ لا أعرف ما الذي اقترفته من خطأ ليُشعرني طوال الوقت بأنني منبوذة ولن تقبل بي إلا الشياطين، بينما أنتِ كنتِ تنعمين بحياة هادئة وسعيدة، لم تشوه طفولتكِ

يومًا لأن جلدك لم يلامس الألم والنزيف، كنتِ الطفلة المفضلة لأمي وأبي، حتى الآن أمي تُفضلكِ عني، فأنا مختلة مثيرة للشفقة في نظرها بينما أنتِ الفتاة العاقلة والعنوان الأمثل للمثالية، ألا تعلمين بأنه حين كانت تُسأل أمي عن بناتها تُخبرهم بأن لديها واحدة فقط؟ والثانية التي هي أنا كانت منبوذة لأن أمكِ لم ترغب في أن يرى أحد تلك الكدمات المتواجدة دائمًا في جسدي خوفًا من تبليغ الشرطة على أبيكِ.

أن أغار منكِ وسط كل هذا لا أجده شيئًا ثقيلًا ولكنك يمكنكِ الشعور بالثقل لأنكِ لم تري شيئًا سيئًا سواه، لقد كنا تحت سقف واحد وأنا قد ضاعت مني طفولتي وأنتِ أخذتِها على أكمل وجه، كيف سأتقبل ذلك؟ كان صعبًا عليَّ تصديق بأنني سأحادثكِ مرة أخرى، ولكن بما أني قررت الذهاب والعيش بعيدًا عن هنا بمفردي، قُلت لِمَ لا؟ ربما أتخلص من تلك المشاعر التي نمّت بداخلي دون أن أكبحها، والآن أنا أكبحها وأتخلص منها..

نظرت إلى ليلى فوجدت الدموع تسيل من عينيها، نهضت وتوجهت نحوها وقامت باحتضانها، شيء توقعته أسيل منها فهي في النهاية فتاة طبيعية، تستطيع الشعور بالحب والمبادرة بالعناق.

- لم أعرف بأنكِ تحملين كل هذا بداخلكِ.

قابلت جملتها بالصمت، فقد وضعت نفسها في موقف مثير للشفقة، ابتعدت عنها وتوجهت نحو الصور ثم قالت لتغير مجرى الحديث:

- هل يمكنني اقتناء البعض منكِ لأعلقه في عيادتي الجديدة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ربما لم يتحدث أحد من قبل عن مرض المازوخية، أتمنى أن أكون أول طبيبة تتجرأ على القول بأنها صارعت هذا المرض لفترة طويلة من حياتها، لم أتخلص منه كليًا ولكنني حاولت بقدر استطاعتي ألا يُعكر صفو حياتي، فقدان الشغف وانعدام الطاقة كانا شيئًا أساسيًا في يومي، بجانب الاكتئاب المزمن الذي يظنه البعض مجرد «حزن» وما هو إلا سُم ينتشر في الجسد ببطء، ألم يسبق وسألت «لِمَ مات مُنتحرًا؟» فيصلك الرد بأنه من «الاكتئاب».

نحنُ نُقلل كثيرًا من شأنه، الآن يقولها من فقد محفظته، وإن قام بالعثور عليها قال: «لقد رحل الاكتئاب عني!» نحنُ بحاجة لفهم بأنه لا يرحل مثلما يأتي، الجسد يتهالك والعقل يمر بالكثير من الاضطرابات الذهنية التي لا حصر لها، شيء كهذا يجعلنا نتأسف على العقول الجديدة، لأنها لا تفهم معنى المرض النفسي.

بالنسبة للمازوخية، فهو شعورك بأنك لا شيء، أنت أقل من كل شيء، أحقر من أن تصبح إنسانًا، ولم تصل إلى مكانة الحشرات بعد، تُشبه الأرجوحة التي تحركها الرياح كيفما شاءت خاضعة ليس لديها ما تقوله بشأن كرهها للحركة العشوائية التي تفعلها بها، ألا تستحق الأشياء الجميلة، تستحق الظلام فحسب، شعورك الدائم بالذنب حتى وإن لم تتدخل بالأمر، حتى وإن كان شيئًا كعدم سقوط الأشهب في وقت تمنيت فيه أمنية ترجو بأن تتحقق..

المازوخي هو من يبحث عن المتعة والرفاهية، ولكنه يبحث عنها في أشد الأماكن ظلامًا ووحشية، كيف تعرف بأنك مازوخي؟ هذا سهل جدًا، أن يكون لديك اللطف المبالغ فيه، ألا تكف عن جلد الذات حتى على صغائر الأمور، شعورك بعدم الجدارة وهذا ما يجعلك تفني من أجل إنقاذ الكوكب وتحقيق أمنياته، عدم قدرتك على الدفاع عن النفس وهذا لأنك لطيف لطف مبالغ فيه، ستجد من الصعوبة رفض الإهانة، وصولًا إلى تجنب المتعة.. فستشعر بالملل إن سارت الأمور برتابة، فكل شيء جيد لا بد أن يصحبه ألم، كيف يأتي المرض؟

ابتلعت أسيل ريقها بصعوبة ثم أردفت: مرض السادية له دور كبير في ظهور المازوخية، فهو بحاجة إلى من يُعنفه، ومن سيفعل ذلك غير مريض سادي يتفنن في التعذيب؟

أحيانًا الملامسات الجسدية الممنوعة والإهانات المتتالية ما تجعل المرض يتوغل إلى أعماق الإنسان وهذا ما يفعله السادي، وبما أنه لا بأس بأن تزورك الحمى وضرر في الغدد في نفس الوقت، أيضًا من الممكن أن تجتمع السادية والمازوخية في شخص واحد.

نزلت من على المسرح، لم تكن تتوقع بأنهم سيطلبونها في هذا المؤتمر، تشعر بأنها لا تستطيع التقاط أنفاسها، عندما أتت إلى القاهرة ظنت بأنها لن تكون معروفة، ولكن صدمت من شهرتها في أحياء القاهرة بسبب المرضى الذين قامت بعلاجهم وحسنت من حالتهم، لا تحوي غرفة الألعاب فقط على أمنيات الموت فهناك من قرر أنه لا يرغب بهِ، فكانت تقف بجواره حتى يمر من أزمته ويعود للعالم مرة أخرى، شهرتها لم تكن سوى لأن مرضاها أحبوها، لم تكن طبيبة نفسية بل أشعرتهم بأنها مثلهم تمامًا، تستطيع تخيل ما يقولون بل وتقوم به أحيانًا، تشعر بالذنب نحوهم فتساعدهم حتى وإن كانت تلك المساعدة ستلقي بها إلى السجن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت إلى منزلها الجديد، شقة كبيرة نوعًا ما، كبيرة لدرجة استخدامها كمنزل وعيادة في نفس الوقت، ليس لديها أحد لتعيش معه، ليس لديها سوى هذه

المهنة التي قررت العيش من أجلها، ربما قررت مسبقًا التوقف ولكنها لا تستطيع وهُناك المزيد من الناس بحاجة إلى مساعدتها، لم تدرس الطب النفسي لنفسها في النهاية وإن كانت جزءًا من السبب..

تتذكر حديثها مع جمال لآخر مرة، عندما أخبرته بأنها أغلقت العيادة وستسافر..

جاءها سؤاله الذي جعل دماءها تتجمد في جسدها:

- وأنا؟

لم تفكر يومًا فيه، كل ما فكرت به هو نفسها، ألا تُلقى في السجن، لم تجد إجابة كافية ولكنها أخبرته بصوت خالٍ من المشاعر:

- كأنك تسألني أنا أم أنتِ؟ ولأنني لا أكترث سوى بشيء واحد سأختار نفسي، ليس لأنني أفضلها ولكن لأنني لا أستطيع الشعور بالألم دونها.

ثم أغلقت في وجهه، تعرف كيف هو مؤلم أن تقطع أميال لتطرق بابًا واحدًا فلا يُجيبك، ولكنها لم تطلب منه يومًا قطع ذلك الطريق الطويل من أجلها، فقد كان كالأرجوحة وهي الرياح، وهذه المرة فقط هي من تسيطر على الوضع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قررت فتح العيادة بعدما قامت بتجهيزها، قامت بطلائها باللون السماوي كما أخبرت سارة وعلقت بعض الصور التي أخذتها من ليلى، ومن ثم قامت بوضع المصباح الجديد أمام شقتها، لا تعرف من أعطاها إياه ولكنها شاكرة له على تلك الهدية، حتى وإن كان بابا نويل الذي لم يحقق لها أمانيها أبدًا، حاولت أن تخفي أسيل القديمة في إحدى الأدراج، هي هنا الفتاة التي تغلبت على مرضها وجاءت لتنقذ الناس مثلما أنقذت نفسها، من الصعب إخبارهم بأنها تتعايش مع مرضها وهي التي تقوم بمساعدتهم على العلاج، لذا لم يعرف أحد بشأنها، أثناء حديثها مع نفسها دخلت عليها تلك الفتاة بهدوء، ملامحها شاردة ويبدو بأنها في العشرينات من عمرها، جلست أسيل على مكتب الاستقبال.

- كيف أستطيع مساعدتك؟

أجابتها الفتاة بنبرة هادئة:

- أين الطبيبة أسيل؟

ابتسمت أسيل لسؤالها، فيبدو بأنها لا تعرفها..

- هي بالداخل سأحضرها لكِ.

نهضت أسيل ودخلت إلى الغرفة، ثم خرجت وهي ترتدي المعطف الأبيض الخاص بها ثم أعادت عليها السؤال مرة أخرى:

- أين هي؟

نظرت أسيل لنفسها ثم نظرت للفتاة وهي تقول:

- ألا ترين المعطف الأبيض؟ أنا هي الطبيبة أسيل.

ابتسمت الفتاة بعدما علمت بأن أسيل تمازحها، قالت وهي تنهض بهدوء:

- سمعت بأنكِ كنتِ مريضة مازوخية، هل هذا صحيح؟

- نعم.. صحيح.

- كيف تعالجتِ؟

ابتسمت أسيل وقالت وهي تجلس على الأريكة:

- فقط رغبت في العلاج..

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة وهي تقول:

- والذين ضلوا الطريق لم يرغبوا في العلاج؟

نظرت لها أسيل بشرود، فهمت مقصدها فأجابت:

- الذي يضل لم يبحث جيدًا.. فيمكننا القول بأنهم طلبوا العلاج لكن لم يستطيعوا الوصول إليه فتاه عنهم طريقهم.

- الطريق هو الذي قد تاه؟

- لا يمكننا الجزم بأن الإنسان هو مَن يضل عن طريقه، رؤية أن الطريق شيء ثابت رؤية خاطئة، كل شيء يتحرك ويُدمر ويزول، حتى الطريق، فيمكنكِ السير من إحدى الطرق وإن رغبتِ في العودة ستجدينه قد اختفى.

ثم أردفت تكمل حديثها وهي تنظر إلى الصورة المعلقة لطير أسود يُشبه الغراب:

- انظري لتلك الصورة، تذكركِ بشيء؟

شعرت الفتاة بأن أسيل ترمقها بنظرات حادة، تتفحصها وكأنها تقوم بتشخيصها، قامت بفك يديها عن بعضهم حتى لا تثبت بأنها قلقة، ثم قالت وهي تحاول التحكم في نبرة صوتها:

- غراب أسود؟

ضحكت أسيل حتى سعلت وهي تقول:

- الحيوانات التي لونها أسود هي رمز لسوء الحظ، كالقط الأسود أو الغراب، تعرفين لماذا؟

أومأت برأسها بالنفي فأردفت أسيل:

- الجان يحبون التشكل على هيئة القط الأسود، على الرغم من أنه في بعض الأحيان تكون قطة كمثل كل القطط، لكن لأنها سوداء أُصيبت بالسمعة السيئة..

أما عن الغراب، فهو يأكل جثث ابن آدم، رؤيته تُصيب الإنسان بالخوف والفزع، فأصبح نذير شؤم كالقطة السوداء، لماذا؟

أجابت الفتاة بخفوت:

- لا أعرف.. ربما لأن لونهما أسود؟

ابتسمت أسيل ثم قالت:

- اللون ليس المشكلة بل ما قيل عنهما..

القط الأسود في الأصل قطة عادية لا ذنب لها أن الجان يحبون التشكل على هيئتها، أما عن الغراب فهو يلتهم كل شيء ميت يجده أمامه، ما الخطأ الذي ارتكبه؟ لا شيء؛ فهذا غذاؤه كما نأكل نحن لحوم الحيوانات، البشر لا يحبون الأشياء التي تهدد حياتهم، لكن هُناك قِلة يذهبون إلى تلك الأشياء الخطيرة ليسكنوا بجوارها، مثلكِ عندما قررتِ القدوم إليَّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هل أنتِ متأكدة بأنكِ تُريدين بيع تلك العيادة يا أمي؟

أجابت وهي تمشط شعرها:

- ولِمَ لا؟ قد ذهبت أسيل إلى القاهرة ويبدو أنها لن تعود، ما الخطأ في استغلال ذلك الدور الفارغ؟

قالت ليلى وهي تضم يديها نحو صدرها:

- ولكني أظن بأنه يجب استئذانها أولًا..

تركت الفرشاة ثم التفتت لها وهي تقول بنبرة تهديد:

- لن تكلميها بشأن ذلك الأمر، صحيح؟

صمتت ليلى وكادت أن تهم بالخروج ولكن أوقفها حديث أمها:

- لا تنسي بأنها لا تكترث بشأنكِ..

التفت لها ليلى وقالت بحنق:

- لا يهمني ذلك، ولكنها قامت بشراء الشقة وتحويلها إلى عيادة بمالها الخاص وبيعكِ لها بدون إذن منها ستحاسبين عليه أمام الله.

ثم خرجت ووجهها يشيط من الغضب، لا تعرف لِمَ تفعل أمها ذلك، لم تكن بذلك الجشع من قبل، أم أنها هكذا تُعامل أسيل دائمًا؟

تتساءل هل تتصل بها لتخبرها أم لا تقحم نفسها في الأمر لأنه لا يخصها، سجلت أسيل رقمها على هاتف ليلى لأول مرة، ثم قامت بإضافتها على وسائل التواصل الاجتماعي، هل تصدق والدتها بأن أسيل لا تكترث بشأنها؟ وحتى إن كان هذا صحيحًا لا يمكنها تضييع أختها منها، إن لم تكن تستطيع كبح غضب والدها عليها وهي صغيرة فستمنع والدتها الآن من أخذ حق ليس من حقها..

أخرجت الهاتف وقامت بالاتصال عليها، جاءها صوتها الذي تخلله المرح وهي تقول:

- لم أكن أعرف بأنكِ ستتصلين بهذه السرعة، هل اشتقتِ لحديث الأختين؟

ابتسمت ليلى، فيبدو بأن والدتها مُخطئة بشأن أسيل، أجابتها باهتمام:

- اسمعي.. لمَ لا تأتين إلى الاسكندرية هذا الاسبوع؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أومأت برأسها بالموافقة ولكن ملامحها توحي بأنها لم تفهم شيئًا من حديثها، فتساءلت أسيل لتستطيع التحدث بدون مجازات:

- هل جئتِ فقط لسؤالي عن كيفية علاجي؟

نظرت لها الفتاة وهي تجيب:

- نعم، لكنني لم أفهم شيئًا.. لماذا ذكرتِ القط الأسود والغراب؟

- لأنكِ مثلهم، يقولون عنكِ أشياء ليست حقيقية، ولكن من كثرة الحديث عنها أصبحت حقيقة لا يمكنكِ الفرار منها، هل فكرتِ في تشخيص مرضكِ من قبل؟

علت الدهشة وجهها وهي تقول:

- كيف عرفتِ بأنني مريضة؟

- هل أتيتِ إلى عيادة طبيب أسنان أم ماذا؟

قطع حديثهما صوت رنين هاتف أسيل، نظرت إلى المتصل فوجدتها أختها التي لم تشعر بوجودها إلا منذ أسابيع، تغيرت تعابير وجهها إلى الجمود ولا تعرف لماذا، قالت لنفسها بأنها قد أنهت مشاعرها القديمة تجاهها ولكنها فقط لا تستطيع الاعتياد على الأمر، أن تظهر أختها فجأة في حياتها هذا ما يصيبها بالريبة، نظرت إلى وجه الفتاة الذي ما زال على حاله تعلوه علامات الدهشة وهي تنظر إلى أسيل بصمتٍ، تلك الأخرى بالتأكيد تظن بأن لديها عونًا من الجن، فذلك الخوف الذي ظهر عليها لم يأتِ من العدم.

استأذنتها ثم ذهبت لترد على ليلى.

- هذا الأسبوع؟ هل أمكِ بخير؟

لم تسمع سوى الصمت فتأكدت بأن الأمر له علاقة بأمها، أردفت أسيل قائلة:

- حسنًا سآتي غدًا.

أغلقت الخط ومعه تغيرت ملامح وجهها إلى الحنق، كانت تظن بأنها ستبتعد عن تلك العائلة بعد ذهابها إلى محافظة أخرى ولكن يبدو بأنه لا أحد يستطيع الهروب من عائلته، فهي من أعطت رقمها لها في النهاية!

عادت لتجد الفتاة تحدق في صورة الطائر، قطعت تأملها قائلة:

- ما الأمر؟ هل يعجبكِ؟

لم ترفع عينيها عن الصورة وقالت بشرود:

- أتمنى أن يلتهمني وأنا حية، لا أستطيع تخيل منقاره وهو يُغرس في جلدي ليُخرج قطعة لحم مني.

تأكدت أسيل بشأن تشخيصها لتلك الفتاة، فحسها لم يخدعها قط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقفت أمام العيادة تنتظر مجيء الرجل الذي سيقوم بإخراج مفتاح مماثل للذي كسرته، لا تصدق بأن أمها تستغل عدم وجودها بهذا الشكل! ظنت بأنها عندما اعتذرت ستتغير ولكنها ستبقى على حالها مهما فعلت، التفتت لتجده أمامها، ينظر لها واللوم يتطاير من عينيه، لم تظن بأنها ستراه في هذا الوقت..

- كيف حالكِ؟

كادت أن تُجيب لكنه أجاب على نفسه:

- ستقولين بأنكِ بخير، أريد سؤالك فقط وأجيبيني، لا تتجاهليني هذه المرة، لماذا تفعلين هذا؟ لِمَ كلما اقتربت منكِ خطوة ابتعدتِ عني أميالًا؟ النجوم أقرب لي منكِ يا أسيل..

ابتلعت ريقها ثم قالت:

- من الذي أخبرك بأنني هُنا؟

اقترب منها وأمسك بيديها بشكل جعلها تتألم:

- هل هذا ما يُهمك؟

أصدرت صوت أنين جعل قلبه يختلع من مكانه، أدرك ما الذي فعله فابتعد عنها قائلًا:

- أنا آسف.

ماذا يمكنها أن تقول؟ «لا تتأسف فلقد استمتعت عندما قبضت على يدي؟»

- لا تلمسني مرة أخرى!

أتى الرجل الذي كانت بانتظاره، تجاهلت جمال تمامًا ثم بدأت تخبره بأن هذه هي العيادة التي تريد أن يخرج لها مفتاحًا، التفتت لتراه ولكنها وجدته قد ذهب، أخذت نفسًا عميقًا ثم وجهت حديثها لذلك الرجل وكأن شيئًا لم يكن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أسقطت صفعة على خديها دوى صوتها في أنحاء الشقة، قالت بغضبٍ:

- اتصلتِ بها؟؟ كم أنتِ حقيرة!

وضعت ليلى يدها على وجهها، لم تضربها أمها من قبل، هل هذا هو شعور أسيل عندما تُضرب؟ لا يهم الألم الجسدي فسيختفي بعد بضع دقائق، ولكنها تشعر بأن قلبها يبكي.

- هل تضربينني لأنني فعلتُ شيئًا صائبًا؟

قبضت على يديها تكبح غضبها حتى لا تنهالُ عليها بالضرب، على لسانها الكثير من السُباب والشتائم ولكنها منعتهم من تخطي حاجز شفتيها، لا ترغب بأن تكون مثل زوجها ولكنها اكتسبت منه بعض الأشياء العدوانية.

فتحت أسيل الباب لترى ليلى واضعة يديها على وجهها وأمها تقف أمامها والغضب يتطاير من عينيها، تقبض على يديها بغلٍّ واضح، علمت فورًا ما الذي حدث، أسرعت في مشيتها لتقف أمام ليلى وكأنها تقول لأمها بأنها في حمايتها.

- ما شأنكِ أنتِ؟

قالتها أمها وهي تصرخ في وجهها، وضعت يدها على أذنها وهي تعض على شفتيها، لا يمكنها الدفاع عن أختها طالما أنها تصرخ بهذا الشكل.

- تريدين سرقتي وأنا حية أرزق؟ العيادة ملكية خاصة لي لا يمكنكِ بيعها مهما فعلتِ! بها أشيائي وذكرياتي التي لا أريد التخلص منها، كيف يمكنكِ سلبي شيء أحبه بهذه الطريقة البشعة؟

لم تستطع الرد عليها، ولأنها لم تستطع انهالت عليها بالشتائم مثل التي كانت تسمعها من أبيها، تشبه الذي يرى مشهدًا رآه لآلاف المرات.

- هذا ما يمكنكِ فعله حقًا، أخرجيه من داخلكِ، لا أتعجب الآن بأنه قد تزوجكِ أنتِ، أشك بأنكِ كنتِ تُفكرين في الطلاق.

قالتها وهي تحيط ليلى بذراعيها وتعطي أمها ظهرها، لم تستطع رؤية وجهها الذي تحول إلى اللون الدموي من شدة الغضب، فتحت أسيل غرفة ليلى ودلفا إليها معًا.

- لا تمانعين بأن تنامي بجانبي اليوم؟

قالتها ليلى وهي تنظر إلى الأرض، هُناك شيء ثقيل يجلس فوق قلبها، لا تتخيل بأن كل هذا لأن أمها صفعتها، بماذا تشعر تلك الفتاة الخارقة؟

ابتسمت لها أسيل وصمتت، لم تفكر في النوم بجوار أحد من قبل، لا تشعر بذلك الأمان الذي يدفعها إلى إغماض عينيها وهناك شخص آخر في الغرفة، لم تفعلها سوى مع جمال عندما ناما في العيادة معًا، جاء إلى بالها مرة أخرى، مما دفعها للتحدث عنه في لحظتها:

- اليوم أنهيتُ علاقتي مع جمال..

نظرت لها ليلى بتعجب، فذلك الشرطي رائع حقًا، فهمت ما تود ليلى قوله فأجابت دون أن تسأل:

- هذا لأنني لا أستحقه، أنا حزينة على نفسي، كُلما اقترب مني أحد ابتعدت عنهُ لأني لا أستحق سعادة مثل تلك.

- بلى تستحقين!

نظرت لها أسيل نظرات امتنان، لكنها لم تشعر بأي تحسن من كلماتها، دخلت من أذن وخرجت من الأخرى، هذا لا يواسيها، تود أن يقتلها أحد فحسب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقفت أمام العيادة وبيدها المفتاح، استطاعت الاستيقاظ مبكرًا وأخذته قبل أن تفعل أمها، لقد وجدته في ذلك الظرف أمام الباب كما أخبرها الرجل، أدخلت المفتاح فشعرت بدقات قلبها تتسارع، سعلت حين استنشقت هواء العيادة، وبدأت نوبات الندم تعود لها مرة أخرى، كان بإمكانها فتح جزء بسيط من النافذة لتهوية المكان بشكل مستمر، أغلقت الباب خلفها، فتحت الأضواء ثم توجهت نحو.. لهذا لم ترغب في دخول أحد أو حتى بيعها، فلم تنظف آثار عظام سارة.

دخلت إلى الحمام لتجد بأنه لا أثر للعظام، أجزاء مبعثرة من الحمض تستطيع تنظيفها بسرعة، تحسدها لأنها ذهبت للقاء روحها، وتركتها هي هُنا تنظف خلفها، ليست ذكية إلى تلك الدرجة التي تدفعها لارتكاب العديد من الجرائم دون أن تكتشف الشرطة أمرها، ربما هذا لأن المرضى يساعدونها ويبعدون عنها الشكوك حتى بعد موتهم..

مرت ساعات وهي تنظف وهي التي كانت تظن بأنها ستنتهي في غضون ربع ساعة، لكن الأهم هو أنه لا وجود لأي شيء، لا تعرف كيف كانت ستتخلص من الجثة دون وجود هارلان، هي ممتنة له كثيرًا، فالشيء الوحيد الذي كان يمكنه زجها إلى السجن هي جثة سارة، وبمساعدة آكل لحوم بشر اختفى الدليل..

دخلت إلى غرفة الكشف، تذكرت حيث كان رضوان يجلس على تلك الأريكة، جلبت التسجيلات وأخذت في سماع صوت مرضاها لآخر مرة، لقد حققت الكثير من الأمنيات منذ قررت فتح تلك العيادة، لوثت يديها الكثير من المرات، كالذي يجلب الجثث إلى المذبحة، لا أحد يعرفهُ ولكنه سبب أساسي في قتلهم، ظهر صوتها في إحدى التسجيلات الخاصة بها هي، لا تتذكر بأنها قامت بالتفوه بتلك الكلمات!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أسيل...

اليوم جاء «رضوان» إليّ، تعمدت سؤاله بشأن طريقة القتل التي يُفضلها حتى يتحدث معي عن ذلك الجانب السوداوي في حياته، فأنا على علم بأن مريض الوهم يمكنه تجسيد الأشياء الجيدة وتحويلها إلى ظلام، فماذا إن كانت تلك الأشياء ما هي إلا كابوس مُخيف بالنسبة للبشر؟ لم يُفاجئني حين قال بأنه يرغب في الموت، حينها أغلقت التسجيل وسألته إذا كانت هذه أمنيته، فإن لم تكن فلن أساعده، سعدت حين أومأ بالموافقة، وقتها أخبرته بأن يذهب إلى منزله ويعيش بين تلك الأشياء التي يخشاها دون أن يتصل بي، فهذه هي الطريقة الأمثل لوصوله إلى نوبة الهلع إثر تخيلاته، ولكن أولًا عليه

أخذ إجازة مفتوحة من عمله وألا يخرج من منزله مهما حدث حتى لا توجه الاتهامات نحوي.

أشعر بوخز في قلبي وهذا يؤلمني جدًا، لكنه لا يستجيب للعلاج النفسي الذي أقدمه له وأشعر بأنه سيلجأ إلى الانتحار في وقتٍ ما، ولا يمكنني السماح للناس بالتحدث عن مرضاي بهذا الشكل المهين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تركت التسجيل جانبًا ثم بدأ الشرود يصل بطريقة ما إلى وجهها، كانت تقول بكل ما تملك من ثقة بأن لا دخل لها في وفاته، ولكنها من قتلته باستشارتها! لا تستطيع التفكير جيدًا عندما تجلس أمام مريض، ما يخالجها حينها هو شعورها بالأسف نحوه، ترغب بمساعدته حتى وإن كان ذلك على حساب فقدانه لحياته وعدم رؤيتها له مجددًا..

قامت بوضع التسجيلات في صندوق لديها وأغلقت العيادة ثم ذهبت إلى المكان الوحيد الذي يمكنه التخلص من كل ما تفوهت به وما سمعته.

أن تكون طبيبة نفسية يعني أن تكون مسؤولة عن روح لا يمكن ترويضها بسهولة، روح ثائرة تحتاج إلى الصبر والعقل، وأسيل ولسوء حظها لا تمتلك الاثنين ولا تعرف كيف أصبحت فجأة طبيبة..

- لِمَ لا تستطيعين إلقاء نفسكِ؟ لِمَ أنتِ جبانة إلى ذلك الحد؟

قالتها لنفسها وهي تنظر إلى البحر وتُلقي بالتسجيلات الصوتية فيه، بعدما انتهت علمت بأنه لا شيء يبقيها في الاسكندرية، حتى وإن حاولت أمها بيع تلك العيادة لن تأبه لذلك.

فقد انتهى ما كانت تخشى منه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت إلى القاهرة، دخلت إلى منزلها والعيادة في آن واحد، من الغريب أن تضم بين العمل والراحة ولكنه لا خيار آخر لها، لا تستطيع تحمل تلك التكاليف، بقيت أسبوعين دون زيارة مريض لها، فوجئت حين رأتها أمامها مرة أخرى بعد مرور وقت على آخر لقاء لهما.

- تعلمين مِمَا أُعاني؟

ابتسمت أسيل وقالت وهي تُرتب الأوراق التي أمامها:

- هل تظنين بأنني لا أعلم؟

تحركت الفتاة لتقف أمامها، رفعت أسيل عينيها لتلحظ ذلك الوجه المتورم، تسلل الفزع إليها حين قالت الفتاة:

- أستيقظ كل يوم لأجد وجهي متورمًا هكذا، لا أعلم السبب..

تذكرت أسيل نفسها والكدمات التي تظهر على جسدها، جروح أقدامها والإصابات البالغة التي عانت منها لفترة طويلة.

- هل يمكننا صنع جلسة؟

قالتها أسيل وهي تتوجه إلى غرفة الكشف، تبعتها الفتاة بصمتٍ، تمددت على الأريكة ثم قالت وهي مغمضة العينين، الشيء الذي لم تتعجب منه أسيل فهي أيضًا تحب إغماض عينيها عند الحديث عن شيء يؤلمها:

- أشعر بأنني مثل الملابس البالية، كثرت استخداماتها حتى فقدت قيمتها وانتهى بها الأمر تحت إحدى الأسِرة أو فوق خزانة الملابس، قرأت في علم النفس بأن الشيء إن كان به روح فمهما حدث لا يفقد قيمته أبدًا إلا بزوال تلك الروح، أشعر بأنني لا أملك واحدة على الرغم من أن الألم لا يتركني وإن فعل لا أستطيع الاستمرار بدونه، أنا لا شيء أبدًا، أنا أسوأ من أن ألقب بشيء.

فتحت عينيها ثم قالت متسائلة:

- هل تعرفين مرضي حقًا؟

- مريضة مازوخية.. مثلي.

- ألم تقولي بأنكِ تعافيتِ؟

نظرت أسيل إلى الأرض وهي تجيب بأسفٍ على حال الفتاة وحالها الذي لن يتغير مهما حاولا:

- كذبت.

- لماذا قلتِ بأنكِ تعافيتِ؟

- لأنني أكترث بشأن حديث الناس حولي حتى وإن بدوت لا أهتم، لا أستطيع تحمل سخرية الناس من المازوخية، إن علم أحد بشأن مرضكِ فلن يواسيكِ بل سيزيد منهُ..

تنهدت الفتاة ثم عادت للتساؤل مرة أخرى:

- لماذا الطب النفسي بالنسبة لفتاة تكره ولا تحب؟

نهضت أسيل وأدارت وجهها عنها وهي تقول بشرود:

- لأني تمنيت ولم تتحقق أمنياتي.

عادت للنظر لها مرة أخرى وهي تقول بابتسامة واسعة، شعرت منها الفتاة بالخوف:

- ألا تمتلكين أمنية؟ أستطيع تحقيق كل شيء لكِ..

لم تقدر على إخراج الكلمات من بين شفتيها، تخللها الخوف والفزع من نظرات أسيل لها، هي مريضة مثلها فلمَ باتت تخشاها بهذا القدر!

عادت إلى ثباتها الانفعالي وهي تقول بحذرٍ:

- هل أنتِ متأكدة من حديثكِ بشأن «تحقيق كل شيء»؟

أومأت أسيل بالموافقة، ثم قالت:

- تستطيعين التجربة.

ابتسمت الفتاة، اختفت كل المشاعر المخيفة التي كانت تراودها منذ دقائق ثم قالت وقد ظهرت عليها ابتسامة كالتي رأتها على وجه أسيل:

- أتمنى أن أُعذب حتى الموت..

لم تتفاجأ من أمنيتها، فهي قد تمنت مثلها ولكن لم يكن هناك أحد يلبي لها رغبتها، فالألم غير كافٍ لتحضير الموت..

أمسكت أسيل بيديها فنهضت معها، ثم قالت وهي تهم بالخروج من غرفة الكشف وما زالت لم تفارق يديها:

- هُناك غرفة صنعتها خصيصًا لمثل تلك الأمنيات، كنت أسميها في عيادتي السابقة بغرفة الألعاب لكن في تلك العيادة لقبتها بنسائم الموت، لن تشعري سوى باللذة داخلها، بالنسبة لنا الموت هو نسيم هادئ لا ننعم بهِ، في هذه الغرفة سأجعلكِ تنعمين بهِ بالطريقة التي تحبينها.

ارتسمت الراحة على وجه الفتاة، أغلقت أسيل باب العيادة ثم توجها نحو الغرفة المقصودة وقبل أن تغلقها خلفها لمعت عين أسيل، كاللمعة التي كانت تراها في عين والدها وهو يعلمها كيف تصبح لا شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة